أَدَبُ اليَّوْمِيَّاتِ فِي زَمَنِ كُورُونَا
«قِرَاءَةٌ فِي يَوْمِيَّاتِ (قيس يمكن : سَرْدِيَّاتُ العُزْلَةِ) لحسن النعمي»

د. عواد ملفي الشمري[1]

(قدم للنشر في ١٣/ ٠٦/ ١٤٤٣هـ؛ وقبل للنشر في ٢٧/ ٠٧/ ١٤٤٣هـ)

المُسْتَخْلَصُ: قَامَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ علىٰ مقاربة موضوع (أدب اليوميَّات في زمن كورونا)، في يوميَّات (قيس يمكن)، مقاربة موضوعاتيَّة، مستعينة بآليات التحليل والتأويل والتفسير، مع بيان تمظهرات الأبعاد الموضوعاتيَّة الَّتي يَنْتَظِمُهَا نَصُّ اليَوْمِيَّاتِ. وجَاءَتْ في مقدّمة اِشْتَمَلَتْ علىٰ بيان موضوع الدراسة، ومشكلتها، وحدودها، وأهدافها، ومنهجها، وتبويبها. وتَلَاهَا تمهيد تَعَرَّضَ للتعريف بأدب اليوميَّات، وبمدوَّنة الدراسة وكاتبها. ثمَّ بَدَأَتْ مباحثها باليوميَّات ذات البُعد الاجتماعيّ، ثمَّ جاء المبحث الثاني كاشفًا عن اليوميَّات ذات البُعد النفسيّ، وأخيرًا اِنْتَهَتْ ببحث اليوميَّات ذات البُعد الأخلاقيّ. وأُلْحِقَ بها خَاتِمَةٌ تَضَمَّنَتْ أبرز النتائج والتوصيات، وثبت للمصادر والمراجع. ومن أبرز ما أسفرت عنه الوقوف علىٰ تجلِّيات العزلة، ووباء (كورونا) في المستويات: الاجتماعيَّة، والنفسيَّة، والأخلاقيَّة. وَأَوْضَحَتْ أثر ذلك في شخصيَّة الكاتب، فأعاد تجديد معرفته بأسرته، ونشَّط ذاكرته، فوظَّف الأحداث الماضية في رفد يوميَّاته بمواضيع متنوِّعة. كما أَبَانَتْ عن قيمة اليوميَّات في رصد واقع الحياة في المنعطفات التاريخيَّة الحرجة، وزمن الأوبئة الكبرىٰ.

الكلمات المفتاحيَّة: أدب، اليوميَّات، الموضوعاتيَّة، التحليل، النقد.

* * *

(١) أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية الآداب والفنون، بجامعة حائل.

البريد الإلكتروني: Aw.alshammary@uoh.edu.sa

Diaries in the Time of Corona
Analysis of Qais Yamkin's "The Narrative of Solitude" by Hassan Naemi

Dr. Awad Melfy Ashammary

(Received 16/01/2022; accepted 28/02/2022)

Abstract: This study is based on=Saudi diary literature in the time of Corona, in the diaries of (QaisYamkin), from a thematic perspective, approaching it by the mechanisms of analysis, and interpretation, with an indication of the manifestations of the thematic dimensions that are included in the text under discussion. The study is meant to shed light on this type of narrative, taking Qais Yamkin diaries of solitude as an example. It elaborates the various types of diaries beginning with social diaries, then those with a psychological dimension, and finally diaries with an ethical dimension.

Among the most prominent results of this investigation is revealing the manifestations of Solitude and the (Corona) Pandemic on the social, psychological, and moral levels. The impact of this on the writer's personality was clarified, as he renewed his knowledge of his family, activated his memory, and used past events to supplement his diaries with various topics. It showed the value of diaries in depicting the reality of life at critical historical crossroads and at the time of major epidemics.

Keywords: literature, diaries, thematic, analysis, criticism.

❋ ❋ ❋

المُقَدّمةُ

إنَّ أدب اليوميَّات في مختلف تمظهراته يُشَكِّلُ أُفُقًا رحبًا للعقل والمشاعر البشريَّة، وملتقىٰ تقاطعات تتباين فيه التأملات والتأويلات، ومن ثَمَّ يكتسب هذا اللون قِيمَتَهُ من نقل التجربة الشخصيَّة والشعوريَّة علىٰ حدٍّ سواء، بالإضافة إلىٰ أهميَّته في توثيق المراحل التاريخيَّة، وتصوير الأحوال الاجتماعيَّة المختلفة؛ وبهذا يغدو لأدب اليوميَّات أهميَّة في وصف أوضاع الحياة في المنعطفات التاريخيَّة الحرجة، وزمن الأوبئة الكبرىٰ. ولأهميَّة أدب اليوميَّات في هذا السياق جاء عنوان الدراسة: (**أَدَبُ اليَوْمِيَّاتِ فِي زَمَنِ كُورُونَا**)؛ وذلك بغية تسليط الضوء علىٰ واقع حياة المجتمع السعوديِّ في زمن وباء (كورونا)، وقد اعتمدت الدراسة علىٰ مدوَّنة: (**قيس يمكن: سَرْدِيَّاتُ العُزْلَةِ**)، أنموذجًا كاشفًا لتمظهرات وباء (كورونا) في أدب اليوميَّات السعوديِّ؛ وذلك لما تمثِّله تلك المدوَّنة من أهميَّة في كونها سرديَّات عايشت زمن الوباء، بل إنَّ فكرتها قائمة علىٰ تصوير معيشة كاتبها في ذلك الزمن، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإنَّ كاتبها الدكتور حسن النعمي يتمتَّع بخبرة واسعة وتجربة ثريَّة؛ فهو أكاديميٌّ، وناقد، وأديب يعود أوَّل إنتاج أدبيٍّ له إلىٰ سنة (١٩٨٤م)، فتجربته الإبداعيَّة تمتدُّ إلىٰ ما يزيد علىٰ ستَّةٍ وثلاثين عامًا.

*** مُشْكِلَةُ البَحْثِ:**

تَنْطَلِقُ الدِّرَاسَةُ مِنْ إِشْكَالِيَّةٍ تَتَمَثَّلُ فِي التَّسَاؤُلَاتِ التَّالِيةِ:

١- كيف صوَّر أدب اليوميَّات حياة المجتمع السعوديِّ في زمن كورونا؟

٢- ما القيمة الأدبيَّة، والتاريخيَّة، والاجتماعيَّة لأدب اليوميَّات؟ وهل تضمَّنت يوميَّات (قيس يمكن) شيئًا من تلك القيم؟

٣- ما أبرز تمظهرات وباء (كورونا) في الأبعاد: الاجتماعيَّة، والنفسيَّة، والأخلاقيَّة في يوميَّات (قيس يمكن)؟

٤- ما مدىٰ اتِّصاف يوميَّات (قيس يمكن) بجنس اليوميَّات؟ وهل تداخلت مع أجناس أدبيَّة أخرىٰ؟

*** حُدُودُ البَحْثِ:**

سَيَقْتَصِرُ البَحْثُ علىٰ مُدَوَّنَةٍ وَاحِدَةٍ هي: يوميَّات (قيس يمكن: سرديَّات العزلة)، للدكتور حسن النعمي، وتمثِّل هذه اليوميَّات حياة الكاتب في أيَّام العزلة، في زمن وباء (كورونا).

*** أَهْدَافُ البَحْثِ:**

يَهْدِفُ البَحْثُ إِلَىٰ:

١- تسليط الضوء - من خلال المتن المدروس - علىٰ حياة المجتمع السعوديِّ، في زمن (كورونا).

٢- إبراز القيمة الأدبيَّة، والتاريخيَّة، والاجتماعيَّة لأدب اليوميَّات، من خلال مدوَّنة الدراسة.

٣- بيان تمظهرات وباء (كورونا) في الأبعاد: الاجتماعيَّة، والنفسيَّة، والأخلاقيَّة في يوميَّات (قيس يمكن).

٤- التَّعرُّف علىٰ تقاطع أدب اليوميَّات - ولاسيَّما يوميَّات (قيس يمكن) - مع أجناس أدبيَّة أخرىٰ.

*** مَنْهَجُ البَحْثِ وَإِجْرَاءَاتُهُ:**

سَيَتَّبِعُ البَحْثُ المنهجَ الموضوعاتيَّ؛ وذلك لاعتماد هذا المنهج علىٰ عنصريِّ التأويل والتفسير(١)، ولقيامه علىٰ إعطاء الناقد الموضوعاتيِّ مبدأ الحريَّة(٢)؛ فضلًا عن كونه يتتبَّع أفكارًا

(١) سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، حميد لحمداني، (٢٧).

(٢) المرجع السابق، (٢٨).

محدَّدة خلال نتاج مبدع (ما)[1]، وبناء علىٰ ذلك فإنَّ البَحْثَ سَيَعْمَدُ إلىٰ محاولة تصنيف نصوص اليوميَّات إلىٰ بعض الأبعاد الدالة، بغية الوصول إلىٰ صورة متكاملة، يمكن أنْ تَكْشَفَ عن تصوُّر الكاتب للواقع المعيش في زمن (كورونا)، مستعينًا بآليات التأويل، والتفسير في تحليل نصوص اليوميَّات، علىٰ ضوء السياقين: النظميِّ والمقاميِّ.

*** الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةِ:**

لم أَقِفْ علىٰ أَيِّ دِرَاسَةٍ دَرَسَتْ يوميَّات (قيس يمكن)، فضلًا عن دراستها دراسة تحليليَّة تبيِّن تجلِّيات وباء (كورونا)، وانعكاسها علىٰ الأبعاد: الاجتماعيَّة، والنفسيَّة، والأخلاقيَّة. وتتطلَّع هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إلىٰ أنْ تُسْهِمَ فِي رَفْدِ مَكْتَبَةِ الأَدَبِ السُّعُودِيِّ بِمَوْضُوعٍ جَدِيدٍ، لم يُدْرَسْ مِنْ قَبْلُ.

*** تَبْوِيبُ البَحْثِ:**

- **المقدّمة**: تضمَّنت تعريفًا بموضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه وإجراءاته.
- **التمهيد:**
  - التعريف بأدب اليوميَّات.
  - التعريف بمدوَّنة البحث.
  - التعريف بالكاتب.
- **المبحث الأول: اليوميَّات ذات البُعد الاجتماعيِّ في زمن كورونا:**
  - الإنسان والتطلُّعات إلىٰ الحريَّة في زمن كورونا.
  - الإنسان والإطراف الأدبي في زمن كورونا.
  - الإنسان والتباعد الاجتماعيُّ في زمن كورونا.

(١) سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، حميد لحمداني، (٢٨).

- **المبحث الثاني: اليوميَّات ذات البُعد النفسيِّ في زمن كورونا:**
  - الإنسان ومشاعر القلق والضجر في زمن كورونا.
  - الإنسان والتفكُّر والتأمُّل في زمن كورونا.
- **المبحث الثالث: اليوميَّات ذات البُعد الأخلاقيِّ في زمن كورونا:**
  - الإنسان وعمارة الأرض في زمن كورونا.
  - الإنسان وعلاقته بالكائنات في زمن كورونا.
- **الخاتمة: وتضمَّنت أبرز نتائج البحث وتوصياته.**
- **فهرس المصادر والمراجع.**

***

التَّمْهِيدُ

إذا كان عنوان الدراسة سؤالًا كبيرًا، تَنْبَثِقُ مِنْهُ أَسْئِلَةٌ فرعيَّةٌ، تُمَثِّلُ مَبَاحِثَ الدِّرَاسِةِ، فإنَّ التَّمهيد هو سؤال لا ينبثق من العنوان، ولكنْ له به صلة قويَّة وعلاقة متينة، غير أنَّه ليس له مكان في الأسئلة الفرعيَّة المنبثقة من عنوان الدراسة، فكان حقُّهُ أنْ يسبق الدراسة، ليكون بمثابة التوطئة والتمهيد لها؛ وانطلاقًا من هذا التَّصور جاء التَّمهيد في هذه الدراسة توطئة لها، فكشف عن جنس أدب اليوميَّات وإشكاليَّة تجنيسه، ثمَّ عرَّف بمدوَّنة الدراسة وكاتبها.

أوَّلًا: أدب اليوميَّات:

جاء في معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب أنَّ اليوميَّات «هي سجِلٌّ، قد يكون يوميًّا للأنشطة الشخصيَّة، ومشاعر الكاتب وانطباعاته وتأمُّلاته في الحياة»[1]، وهي: «ضرب من

(١) معجم المصطلحات العربية في اللُّغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، (٤٤٠).

ضروب كتابة الأنا، يتعهَّد فيه مؤلِّف (ما) بأنْ يكتب يومًا بيوم علىٰ نحو حميميٍّ، يكاد يكون سريًّا، ما يقع له من أحداث قريبة منه في الزمن قربًا يتماس معه الزمن المستذكر وزمن التعلق، فلا يفصل بينهما عادة إلَّا مدًىٰ زمنيٌّ ضيِّق»[1]. وهي بهذا المعنىٰ تدوين للخواطر والتَّجارب الحيويّة، وتسجيل لا يقصد منه «النَّشر في العادة؛ لأنَّه يسجلُّ الأفكار والأحداث شديدة الخصوصيَّة، ولكنَّ الكثير من تلك اليوميَّات عرف طريق النَّشر»[2]، خصوصًا إذا تضمَّنت تلك اليوميَّات آراءً أو أحداثًا تهمُّ الناس. هذا وإنْ اتَّسم طابع كتابة اليوميَّات بالبساطة والعفوية، إلَّا أنَّ بعضها قد يرقىٰ إلىٰ «درجة الأدب الممتاز»[3]، كما هو حال (يوميَّات نائب في الأرياف) لتوفيق الحكيم.

والحديث عن ماهيَّة أدب اليوميَّات يقودنا إلىٰ الحديث عن تجنيس هذا النوع أدبيًّا، فقد «وجد دارسو اليوميَّات الخاصة كبياتريس ديديه (Beatrice Didier)، وجان روسيه (Jean Rousset)، وبيار باشيه (Pierre Pachet) صعوبات جمَّة لتعريف هذا الجنس الأدبيِّ، وتحديد خصائصه الإنشائيَّة؛ ذلك أنَّه يعسر أنْ نضبط له قوانين مسبقة تعيِّن معاييره الأجناسية، وتبيِّن شروط التأليف فيه. إنَّه جنس بلا قواعد ولا حدود، يكاد لا يميِّزه إلَّا كونه كتابة يوميَّة»[4]. والحقُّ أنَّ هذا النوع مُختلف في تجنيسه وتصنيفه، وعند النظر في حديث بعض الدارسين عن أدب اليوميَّات يظهر أنَّ هناك تصوُّرين له: فالتصور الأوَّل يميل إلىٰ التَّدقيق والتفصيل، فَيَفْصِلُ جنس أدب اليوميَّات عن السيرة الذاتيَّة، ثمَّ يمعن في الفصل فيميِّز اليوميَّات عن المفكِّرة اليوميَّة والمذكِّرات، فيرىٰ أنَّ «اليوميَّات سجلٌّ للتجربة اليوميَّة، والحفاظ علىٰ عمليَّة حياة المرء

(١) معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، (٤٨٢).

(٢) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، (٤١٦).

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللُّغة والأدب، (٤٤٠).

(٤) معجم السرديات، (٤٨٣).

بالذات، دون النظر إلىٰ التَّطور الَّذي يحاكي نموذجًا معيَّنًا، أو التَّواصل القصصيِّ، أو الحركة الدراميَّة»[1]. والمذكِّرات «تولي اهتمامًا للأحداث حول الكاتب وخارجه، أكثر ممَّا تولي للكاتب نفسه»[2]. والمفكِّرة اليوميَّة «تركِّز إلىٰ حدٍّ كبيرٍ علىٰ الحياة الداخليَّة للكاتب، وتستبعد غالبًا الأحداث خارج أحلام اليقظة، أو تأمُّلات ذاكرة وخيال المؤلِّف»[3]. وأمَّا التصوُّر الثاني فيميل إلىٰ الحديث المجمل، فيرىٰ أنَّ اليوميَّات نوع من السيرة الذاتيَّة، فاليوميَّات عنده: «نمط سرديٌّ يعتمد حضور ذات المؤلِّف بمرجعيَّتها الاجتماعيَّة والتاريخيَّة، فهي تسجيل شخصيٌّ للأحداث والتجارب والأفكار والملاحظات، ويمكن اعتبارُ اليوميَّات نوعًا من أنواع السيرة الذاتيَّة»[4]. ويظهر أنَّ اليوميَّات جنسٌ أدبيٌّ غير صافٍ؛ لأنَّه يختلط بأجناس أدبيَّة أخرىٰ كالسيرة الذاتيَّة والمذكِّرات، بل والقصة القصيرة أحيانًا، وظهر ذلك في يوميَّات (قيس يمكن: سرديَّات العزلة)، فهي يوميَّات «اتَّخذت من السرد نمطًا لها، فاقتربت من القصَّة القصيرة جدًّا»[5]. ومهما يكن من أمر تصنيفها، فهي علىٰ كلٍّ نوعٌ من أنواع السرد الذاتيِّ، ويمكن أنْ تكون مادَّة خامًا يصنع منها الكاتب سيرة ذاتيَّة موسَّعة، أو قصَّة، أو رواية كما ظهر في (يوميَّات نائب في الأرياف) لتوفيق الحكيم، فهي في أصلها يوميَّات، كما صرَّح بذلك في أوَّلها، حيث ذكر: «لماذا أُدوِّنُ حياتي في يوميَّات؟ ألأنَّها حياة هنيئة؟ كلَّا! إنَّ صاحب الحياة الهنيئة لا يدوِّنها، إنَّما يحياها، إنِّي أعيش مع الجريمة في أصفاد واحدة، إنَّها رفيقي وزوجي أطالع وجهها في كلِّ يوم، ولا أستطيع أنْ أحادثها علىٰ انفراد. هنا في هذه اليوميَّات أملك الكلام عنها وعن نفسي، وعن الكائنات جميعًا، أيُّتها

(١) أدب السيرة الذاتية، عبد العزيز شرف، (٤٤).

(٢) المرجع السابق، (٤٤).

(٣) المرجع السابق، (٤٤).

(٤) قيس يمكن: سرديات العزلة، حسن النعمي، (٥).

(٥) المرجع السابق، (٦).

الصفحات الَّتي لم تنشر! ما أنتِ إلَّا نافذة مفتوحة أطلق منها حريَّتي في ساعات الضيق»[1]. فإذًا هي يوميَّات قبل أنْ تصبح رواية، وقبل أنْ تُستثمر في تسجيل فلم سينمائيٍّ.

ثانيًا: التعريف بمدوَّنة الدراسة:

١- منهج (يوميَّات قيس يمكن) وتكوينها البنائي:

تتَّسم اليوميَّات - بشكل عام - بالتجزئة، وعدم الانتظام، فهي «خواطر ووقائع ومشاعر وأخبار يدوِّنها الكاتب، يومًا بعد يومٍ، ولا يجمعها سوىٰ اندراجها في مجرىٰ يومه»[2]، فمن الصعب «أنْ تكون اليوميَّات منتظمة، تسير علىٰ منهج ثابت، أو محدَّد، أو متصاعد؛ ذلك لأنَّها تخضع لأحداث متلاطمة ومتداخلة، تفرضها طبيعة المكان أحيانًا، أو طبيعة المقام، أو طبيعة الغرض والمناسبة»[3]. وعلىٰ وفق هذا النهج الغالب في اليوميَّات، سارت يوميَّات (قيس يمكن)، وعلىٰ أيَّةِ حال فإنَّه يمكن تلمُّس هيكل بنائها، فهي يوميَّات ارتبطت بزمن (كورونا)، وتشكَّلت من سبعين يوميَّة، جاءت في الغالب علىٰ لسان الكاتب، وبعضها جاء علىٰ لسان صديقه (قيس)[4]، وغالبًا ما تبتدئ بمفردة (اليوم)، وتعمد في بعض الأحيان إلىٰ وصف المكان والطقس، وتُخبر عن طقوس الكتابة وما يحيط بها من أجواء، ويغلب علىٰ حجمها القِصر، مع وجود بعض اليوميَّات المتَّسمة بالطول النسبيِّ، ويُلحظ أنَّ بعض اليوميَّات يغلب عليها سمة القصِّ والحواريَّة، خصوصًا تلك اليوميَّات الَّتي يحضر فيها صديق الكاتب (قيس)، وقد يمتدُّ عرض

---

(١) يوميَّات نائب في الأرياف، توفيق الحكيم، (١٩).

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، لطفي زيتوني، (١٧٩).

(٣) اليوميَّات في الأدب العربي القديم: روزنامجة ابن عبَّاد نموذجًا مقاربة إنشائية، البكر: فهد بن إبراهيم، (٥١٦ - ٥١٦).

(٤) كما يظهر في اليوميتين: (٦٢) و(٦٣).

القصة في حلقتين كما في اليوميَّتين (٤٧) و(٤٨)، وهذا ما يجعل يوميَّات (قيس يمكن) مثالًا واضحًا لتداخل جنس اليوميَّات مع أجناس أدبيَّة أخرىٰ. وإجمالًا فإنَّ اليوميَّات الَّتي تحضر فيها شخصيَّة (قيس) تكون أقرب إلىٰ طبيعة القصَّة القصيرة منها إلىٰ اليوميَّات؛ وذلك لما اشتملت عليه من عنصر التكثيف، واعتماد نسق بنائها علىٰ الجمل الفعليَّة أو الاسميَّة الَّتي يكون خبرها جملة فعليَّة، وحضور الشخصيَّات والحوارات والمشاهد. ثمَّ إنَّ تلك اليوميَّات متباينة في الموضوعات مختلفة في العرض متفاوتة في الأسلوب متأرجحة في الحجم، وهذا أمر طبعيٌّ؛ لأنَّ من سمات اليوميَّات ألَّا تأتي نصوصها «علىٰ شكل بناء منطقيٍّ، بل علىٰ صور الحياة؛ أي متفرِّقة الأجزاء، لا يسير إلىٰ غاية، ويغيب عنه المشروع الناظم والموحِّد»[1]. وعلىٰ الرغم من كلِّ ذلك، فإنَّ هناك عنصرًا يربط تلك اليوميَّات ببعضها، وهو عنصر الزمن، فقد ارتبطت يوميَّات (قيس يمكن) بمرحلة «استثنائيَّة في حياة البشرية كلِّها»[2]، فهي يوميَّات تتحدَّث عن طبيعة عيش الإنسان وتصوِّر أحواله في زمن (كورونا)، ذلك الزمن الَّذي فرض علىٰ البشر قيودًا تمثَّلت بالحجر المنزليِّ والعزلة الإجباريَّة.

٢- موضوعات (يوميَّات قيس يمكن) ومصادرها:

كُتِبَتْ يوميَّات (قيس يمكن) في مكان واحد وزمن واحد، ومع هذا، فإنَّ موضوعاتها تنوَّعت فتحدَّثت عن الحريَّة، وقسوة الحجر المنزليِّ وآثاره علىٰ مستويات متعدِّدة كالأبعاد الاجتماعيَّة والنفسيَّة، وتطرَّقت إلىٰ بعض القضايا الفكريَّة والفلسفيَّة، مستثمرًا ما يحيط به في نطاقه الضَّيق مصدرًا لهذه اليوميات، فحضرت تفاصيل المنزل كالسُّجَّادة والثُّريَّا والمروحة والسُّلَّم والفناء وشجرة الحِنَّاء وقطُّ الجيران، وكأنَّه بذلك يبحث عن مفردات الحياة داخل بيته لا

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية، (١٧٩).

(٢) قيس يمكن، (١٥٠).

خارجه[1]، فاتَّخذ من كلِّ ذلك مداخل سرديَّة تستدعي الكشف والبوح، موظَّفة في سياقات تحثُّ علىٰ التَّأمُّل وتستدعي التَّفكُّر. وكان لاستحضار الماضي بما فيه من ذكريات سعيدة وأخرىٰ حزينة دور مؤثِّر، أسهم في مدِّ تلك اليوميَّات بموضوعات جمَّة، استدعت رصيد الذكريات، فهي - إجمالًا - استحضار «نفسيٌّ ومعنويٌّ نتقوَّىٰ به ضدَّ قيود العزلة الَّتي نعيشها»[2]، وكأنَّ لهذه العزلة الَّتي تسبَّب بها وباء (كورونا) جانبًا إيجابيًّا، تمثَّل في إحياء الذاكرة وتنشيطها، ما جعل الكاتب يقف علىٰ مشارف هذه العزلة ويقول: «أنا عشت حياة أين ذهبت؟ حان الوقت لأعود إليها الآن»[3].

٣- لغة (يوميَّات قيس يمكن) وأسلوبها:

أبرز ما يميِّز اليوميَّات بصورة عامَّة عدم تطلُّعها إلىٰ غايات جماليَّة، فتُكتب عادة بعفويَّة وأريحيَّة، فهي ضرب من الكتابة الَّتي «لا تتطلَّب مقدرة فنيَّة عالية»[4]، وهذا ما يجعل اليوميَّات فنًّا أدبيًّا مستحبًّا؛ «لسهولة عرضه وإقبال القارئ عليه»[5]. وهذه السهولة في كتابتها هي ما دعت الكاتب إلىٰ اعتمادها؛ فقد ذكر أنَّ «الذاكرة غريزةٌ وتحتاج وسيلةً لإخراجها فكانت اليوميات مناسبة، أو أنْ تُكتب رواية، لكنَّ إيقاع اليوميَّات أسهل وأسرع، تكتب إمَّا عبر الذاكرة أو عبر ملاحظاتك، وتنطلق من عزلتك إلىٰ العالم، وفيها ثراءٌ لذاكرتك وحياتك»[6]. وهذه الميزة الَّتي تَسِمُ أسلوب كتابة اليوميَّات حاضرة في يوميَّات (قيس يمكن)، فأسلوب كتابتها اتَّسم بالسهولة في

---

(١) قيس يمكن، (١٥٥).

(٢) المرجع السابق، (١٥٥).

(٣) المرجع السابق، (١٥٥).

(٤) معجم مصطلحات نقد الرواية، (١٧٩).

(٥) المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، (٨٩٢).

(٦) قيس يمكن، (١٥٤).

التعبير، والبساطة في الطرح، والعفويَّة في سرد التفاصيل والأحداث، وابتعد عن المحسنات البديعيَّة، فليس فيه صنعة ظاهرة أو تكلُّف ملموس. وبناء علىٰ ذلك، فإنَّ لغة يوميَّات (قيس يمكن) اقتربت كثيرًا من لغة الأحاديث اليوميَّة العفويَّة، الَّتي لا تحفل بالتأنُّق والتزويق، بل تعتمد علىٰ التلقائيَّة والبساطة والمباشرة.

ثالثًا: التعريف بكاتب مدوَّنة الدراسة:

هو حسن بن محمد النعمي، أستاذ السرديَّة المعاصرة والمسرح بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، حاصل علىٰ بكالوريوس اللُّغة العربيَّة من جامعة الملك عبد العزيز سنة (١٩٨٤م)، وعلىٰ ماجستير في الأدب العربِّي من جامعة (إنديانا) في الولايات المتحدة الأمريكيَّة سنة (١٩٨٩م)، وعلىٰ درجة الدكتوراه في الأدب العربيِّ من ذات الجامعة سنة (١٩٩٥م)، وكانت أطروحة الدكتوراه بعنوان (روايات نجيب محفوظ في السينما). وله مؤلَّفات كثيرة، منها ما يتعلَّق بالنقد ككتاب (رجع البصر: قراءات في الرواية السعودية) الَّذي صدر عن النادي الأدبي بجدة سنة (٢٠٠٤م)، وكتاب (محاضرات في الأدب السعوديِّ) الَّذي صدر عن دار خوارزم بجدة سنة (٢٠٠٧م)، وكتاب (الرواية السعودية: واقعها وتحوُّلاتها) الَّذي صدر عن وزارة الثقافة والإعلام بالرياض ضمن سلسة المشهد الثقافي سنة (٢٠٠٩م)، وقد ترجم إلىٰ لغات مختلفة كالإنجليزيَّة والأسبانيَّة والكوريَّة والصينيَّة، وكتاب (الأدب العربيُّ الحديث: نشأته وتطوُّره) الَّذي صدر عن دار خوارزم بجدة سنة (٢٠١٠م)، وكتاب (بعض التأويل: مقاربات في خطابات السرد) الَّذي صدر عن نادي الرياض الأدبيِّ سنة (٢٠١٣م). وعلىٰ صعيد التأليف الإبداعيِّ فقد صدر له ثلاث مجموعات قصصيَّة: (زمن العشق الصاخب ١٩٨٤م)، و(آخر ما جاء في التأويل القرويِّ ١٩٨٧م)، و(حدَّث كثيب قال ١٩٩٩م). بالإضافة إلىٰ (يوميَّات قيس يمكن ٢٠٢٠م)[1].

(١) قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، إعداد: دارة الملك عبد العزيز، (٣/ ١٧٠٤، ١٧٠٥).

المبحث الأوَّل
اليوميَّات ذات البُعد الاجتماعيِّ في زمن كورونا

كان لظهور وباء (كورونا) تأثيرات كبيرة في حياة الإنسان، وهذه التأثيرات ظهرت علىٰ أصعدة مختلفة وأبعاد متنوِّعة، وكان الجانب الاجتماعيُّ من أكثر الجوانب الإنسانيَّة الَّتي مسَّتها تأثيرات الوباء، وتجلَّت أبرز تأثيراته فيما اصطلح علىٰ تسميته بـ(التَّباعد الاجتماعيِّ)، الَّذي ترتَّب عليه تداعيات كثيرة كالعزلة والإحساس العميق بتقييد حريَّة الإنسان. وتأثيرات وباء (كورونا) في المستوىٰ الاجتماعيِّ كانت أرضًا خصبة للقاص حسن النعمي في يوميَّاته (قيس يمكن: سرديَّات العزلة)، فجاء هذا المبحث ساعيًا إلىٰ استجلاء تمظهرات تأثيرات وباء (كورونا) في ذلك المستوىٰ منطلقًا من متن تلك اليوميَّات، فدرس ملامح ثلاثة بدت بارزة في تلك اليوميَّات، هي: الإنسان والتَّطلُّع إلىٰ الحريَّة الَّتي قيَّدها الوباء، والإنسان والطُّرفة الَّتي أَخَذَتْ في تلك الأزمة مساحةً واسعةً للتَّنفيس عن قسوة العزلة والتباعد الاجتماعيِّ، والإنسان والتواصل الاجتماعيُّ في زمن (الحجر المنزليِّ).

١.١: الإنسان والتطلُّعات إلىٰ الحريَّة في زمن كورونا:

الحريَّةُ قيمةٌ إنسانيَّة تعني: «قدرة الإنسان علىٰ فعل شيء أو تركه بإرادته الذَّاتيَّة، وهي ملكة خاصَّة يتمتَّع بها كلُّ إنسان عاقل ويصدر بها أفعاله بعيدًا عن سيطرة الآخرين»[1]، ومفهوم الحريَّة مصطلح سائل يصعب السَّيطرة عليه؛ لأنَّه ذو حمولات ثقافيَّة وأيدلوجيَّة ترتبط بحقول فلسفيَّة تتباين في المنهج والإجراءات، ولعلَّ من المفاهيم الَّتي تقترب كثيرًا من طبيعة معنىٰ الحريَّة المقصودة في هذا المطلب ما ذكره (هارولد لاسكي) في رسالته المعنونة بـ(الحريَّة في الدَّولة

(١) مفهوم الحريَّة في الإسلام وفي الفكر الغربي: رؤية بانوراميَّة، عزيز العرباوي، (٦).

الحديثة)، حيث ذكر أنَّه يعني بالحريَّة: «انعدام أيَّة قيود علىٰ وجود تلك الظُّروف الاجتماعيَّة الَّتي تمثِّل في المدينة الحديثة الضمانات الضروريَّة للسعادة الفرديَّة»[1]، واستنادًا علىٰ هذا المفهوم وانطلاقًا منه درس هذا المطلب تمظهرات القيود الَّتي حدَّت من حريَّة الإنسان وانعكست سلبًا علىٰ سعادته الفرديَّة.

فمن آثار تقيِّد حريَّة الإنسان - لاسيَّما المثقف - ولزومه منزله أنْ ينكبَّ علىٰ قراءة الكتب، فالقراءة «تنتعش في مثل هذه الظروف كما هو الحال في السجون»[2]، فالقراءة شكل من أشكال النضال والمقاومة في سبيل الحريَّة، ولكنَّ هذا الشكل مع تطاول الزمن وانعدام رؤية ضوء في آخر النفق قد تصيب صاحبها بنوع من السآمة والفتور، فيلجأ إلىٰ شكل آخر من أشكال المقاومة لتجديد النضال وبعث الحيويَّة فيه، علَّه يجد منفذًا تهبُّ منه نسائم الحريَّة عليه، فيستنشق قيمها السامية، وينعم بجلالة معانيها النبيلة، وهذا ما صوَّرته إحدىٰ يوميَّات (قيس يمكن)، حيث جاء فيها:

«اليومَ جلستُ في مكتبتي...

احترت ماذا أقرأُ، شعرتُ أنَّ الكتبَ تساوت، وأنَّ الأفكارَ صارت آسنة، قرَّرتُ أن أفتح كتاباتي أيَّام الصبا، قرأتُ فخرجتُ من عزلتي إلىٰ عالم أرحبَ من نطاقِ مدينتي، حتَّىٰ جاءني اتِّصالٌ أعادني قسرًا إلىٰ عزلتي المنزليَّة»[3].

تتحدَّث اليوميَّة عن رتابة يوم الكاتب في الحجر المنزليِّ، فهو يقضي جلَّ أيَّام عزلته في مكتبته[4]، ولكنْ يبدو أنَّ اليوم مختلف عن سابقه، فقد شعر بالملل من الرتابة اليوميَّة، وفقد

(١) نقلًا من مفهوم الحريَّة في الإسلام وفي الفكر الغربي: رؤية بانوراميَّة، عزيز العرباوي، (٦).

(٢) كورونا والخطاب: مقدمات ويوميات، أحمد شراك، (٢٢).

(٣) قيس يمكن، (١٣).

(٤) ذكر الكاتب ذلك في حوار أُجري معه في برنامج (حكايات) بإذاعة سلطنة عُمان، وأُلحق هذه=

الشغف، واحتار في خياراته القرائيَّة، ولم يجد في نفسه رغبة في القراءة كما اعتاد عليه؛ لأنَّ الكتبَ تساوت عنده، وأضحت الأفكار آسنة. ثمَّ خطرت في باله فكرة لعلَّها تحرِّره من قيود الحجر المنزليِّ، وتكسر أسوار عزلته، فقرَّر أنْ يقرأ في كتاباته أيَّام الصِّبا، وعندما أبحر في القراءة لم يخرج من أسوار عزلته فحسب، بل خرج إلىٰ نطاق أرحب من مدينته، إلَّا أنَّ هذا الخروج لم يدم طويلًا، فقد جاءَهُ اتِّصال أعاده (قسرًا) إلىٰ أسوار عزلته، حيث الإقامة المنزليَّة الإجباريَّة، وقيود برتوكولات الحجر المنزليِّ.

وبالنَّظر إلىٰ النَّصِّ، فإنَّه يعتمد علىٰ دلالة المفردات الموحية (احترتُ، تساوت، آسنة، الصِّبا، قسرًا، عزلتي)، «ودراسة دور اللَّفظ له قيمته الفنيَّة الحيَّة الَّتي تسهم في نماء الصُّورة، وتبثُّ فيها روح الجمال»(١)، وقيمة هذه المفردات مختلفُ فيها، فعبد القاهر الجرجاني يرىٰ أنَّ المفردات لا تكتسب قيمة إلَّا في السياق والنظم، ولو طلبت غير ذلك فقد طلبت محالًا، وعليه يجب «أنْ يُعلم قطعًا وضرورة أنَّ تلك المزية في المعنىٰ دون اللَّفظ»(٢). ولكنَّنا قد نجد لبعض الألفاظ قيمة يمكن أن تكشف عن التجارب الشعوريَّة، وهذه القيمة في اللَّفظ تكمن في مستويات اللُّغة والتَّصوير والصوت.

وبالنظر إلىٰ المستوىٰ اللُّغويِّ في مفردات النَّصِّ، يظهر أنَّها تشي بمعانٍ موحية أثَّرت أيَّما تأثير في الكاتب كالحيرة، وتشبُّع النَّفس وملها، والحنين إلىٰ أيَّام الصِّبا، والإجبار، والتَّضجُّر من العزلة المنزليَّة. فالحيرة قرينة للتَّفكير المشتَّت، ولتضارب الأفكار، ولتصادم الخيارات. والتساوي إشارة إلىٰ فقدان الشغف، وامتلاء النفس، ووصول الأشياء إلىٰ فِقد قيمتها. والآسن

=الحوار في نهاية هذه اليوميات. قيس يمكن، (١٥٠).

(١) القيمة الفنيَّة للفظ المفرد وأثرها في الصورة البيانيَّة، نجاح بنت أحمد الظهار، (٦٥).

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، (٤٠١).

تعبير تصويريٌّ ألمح إلىٰ أنَّ الأفكار لم تعد مستساغة ومتقبَّلة. والصِّبا مفردة أحالت إلىٰ الحالة الشعوريَّة الَّتي يعيشها الكاتب، فهو يريد الهرب ولكنْ لات حينَ مهربٍ، إلَّا بحيل نفذ من إحداها إلىٰ عالم الصِّبا، وتجاوب مع أحاسيسه، فأبحر وغادر عزلته حتَّىٰ جاءه اتِّصال أعاده إلىٰ ما هو فيه من عزلة. وأمَّا (قسرًا) فقد ألمحت إلىٰ أنَّ العزلة إجباريَّة، وليست اختياريَّة، وهذا المعنىٰ قاده في يوميَّة – ستأتي – إلىٰ مقارنة الحجر المنزلي بالإقامة الإجباريَّة.

وأمَّا علىٰ الجانب التَّصويريِّ، فتظهر مفردة (آسن) بما فيها من شحنة تصويريَّة، فالكاتب شبَّه الأفكار بالماء الآسن، وصرَّح بالمشبَّه، وحذف المشبَّه به وأبقىٰ علىٰ شيء من لوازمه، وهو (الآسن)، علىٰ سبيل الاستعارة المكنيَّة، والاستعارة المكنيَّة أبلغ؛ لأنَّها تعتمد علىٰ حذف المشبَّه به مع الإشارة إليه بلازم من لوازمه؛ ولذلك كان «من شأن الاستعارة أنَّك كلَّما زدتَّ التشبيه إخفاءً ازدادتْ الاستعارة حُسنًا»[1]، وحذف المشبه به في الاستعارة المكنية هو الذي جعلها تفوق قسيمتها التصريحيَّة. وإذا عدنا إلىٰ مفردة (آسن)، سنجد فيها معانيَ موحيةً كتغيِّر الطعم واللَّون، فالآسن هو الماء «الَّذِي لَا يَشْرَبُهُ أَحَدٌ مِنْ نَتْنِهِ»[2]، وهذا يعني أنَّ الأفكار في عزلته لا تُستساغ؛ لأنَّ في العُزلة ركودًا للأفكار ما يجعلها تأسن كما أنَّ ركود الماء يجعله آسنًا.

وأمَّا علىٰ الجانب الصوتيِّ، فإنَّ حروف المفردات يغلب عليها صفات الهمس، وهي صفة تقابل صفة الجهر، فالصوت المهموس يخرج عندما «يكون الوتران الصوتيَّان في نقطة متباعدين بحيث إنَّ الهواء الخارج من الرئتين لا يتذبذب»[3]، وهذه الصفة بما فيها من همس تتناسب مع حالة الكاتب الشعوريَّة.

---

(١) نهاية الإيجاز في درر الإعجاز، فخر الدين الرازي، (٢٤٧).

(٢) لسان العرب، محمَّد بن مكرم ابن منظور، (١/ ٨١)، مادة (أسن).

(٣) علم اللُّغة: مقدمة للقارئ العربي محمود السعران، (٨٨).

وتأسيسًا علىٰ ما تقدَّم، فإنَّ المفردات بمستوياتها الثلاثة (اللُّغويَّة، التصويريَّة، الصوتيَّة) تناسقت وتناغمت مع إبراز الجانب الشعوريِّ عند الكاتب، فعبَّرت عن آثار العزلة في النفس البشريَّة، وسلب حريَّتها، وإحساسها العميق بقسوة الإقامة الإجباريَّة. وهذا الإحساس عبَّر عنه الكاتب صراحة في يوميَّته السادسة، فيقول عن تشابه حال الحجر المنزليِّ بحال الإقامة الجبريَّة:

«جلستُ أفكرُ في معنىٰ الإقامة الجبريَّة، وأقارنها بما نحن فيه من عزلة.

الخُلاصةُ نحن أحرارٌ إلَّا من مخالطة الآخرين»[1].

فالكاتب في هذه اليوميَّة أخذته الأفكار إلىٰ ناحية شعوريَّة تتعلَّق بألم عزل الإنسان عن محيطه، مصوِّرًا لنا حالته الشعوريَّة في قالب فكريٍّ أدبيٍّ، فأخرج لنا ما وجده في حالته تلك من شبه بين (الحجر المنزلي) وبين (الإقامة الجبريَّة)، والجامع الَّذي يربط بين الوضعين هو تقييد الحريَّة والإجبار علىٰ لزوم المنزل.

ومع أنَّ نصَّ اليوميَّة مقتضب جدًّا، فإنَّه اختصر المقتضب وقال: (الخلاصة)، بما أوحىٰ أنَّ الكلام طويل جدًّا، وهو بهذه العبارة يرُيد إيجازه، غير أنَّ في هذه الكلمة كشفًا عن حالة الكاتب الشعوريَّة، من حيث إنَّ ما يدور في داخله من هواجس ووساوس كثير جدًّا عجزت لغته عن إخراجه في صورة تفصيليَّة، فعبَّر قلمه عن ذلك الإحساس دون النظر إلىٰ واقع ما كتب، فبدت لنا كلمته مشعرة بضخامة ما كتب وما فنَّد وما علَّل، ولكنَّها - علىٰ كلِّ حال - كلمة ذات ظلال موحية ألمحت إلىٰ ضخامة ما يعتلج في نفسه من أفكار. ثمَّ إنَّ في تعبيره (نحن أحرارٌ إلَّا من مخالطة الآخرين) معنيين متناقضين. فالمعنىٰ الأول يشير إلىٰ أنَّنا نعم بالحريَّة، ولا نفقد منها سوىٰ قدر ضئيل، يتمثَّل في الحظر من مخالطة الآخرين، والمعنىٰ الثاني يشير إلىٰ أنَّنا لسنا أحرارًا، وهذا مستفاد من أنَّ الحريَّة ليس عليها قيود ولا يوضع فيها شروط، فهي كيان عضويٌّ

(١) قيس يمكن، (١٩).

كامل متىٰ ما نقص شيء من أعضائه تشوَّه واعتراه الخلل، فالإنسان - كما ذكر هيغل - «حرٌّ، فهذه هي طبيعته، وهذا جزء من جوهره»[1] فإذا ما فُقِدَ شيء من ذلك فَقَدَ الإنسان طبيعته وجزءًا من جوهره.

ونمط الحديث عن الحريَّة يجري في يوميَّات النعميِّ علىٰ هذا النسق، من إيجاز واقتضاب كما في يوميَّته الَّتي تحدَّثت عن الإحساس بالحريَّة؛ فيقول:

«الإحساس بالحريَّة يبدأ بالنظر من خلال النَّافذة؛ لذا فالسجون لا نوافذ لها»[2].

وهذا النَّصُّ يبتعد عن أدب اليوميَّات، ولعلَّ الكاتب شعر بذلك، فلم يبدأ النصَّ بمفردة (اليوم)، كما هي عادته في أغلب نصوص يوميَّاته، فالنصُّ عبارة موجزة مقتضبة، فهي أقرب إلىٰ الحِكَمِ المعبِّرة عن عمق التجربة والعبارات السائرة علىٰ الألسن، فوضعها الكاتب «في نسق فلسفيٍّ تدعو للتأمُّل وتعلق بالذهن المتلقِّي»[3].

وفي النصِّ - بغضِّ النظر عن تصنيفه - صلة بتداعيات الوباء من عزلة وحجر منزليٍّ، ومن شعور داخليٍّ عميق بمعاني الإقامة الجبريَّة، فالنصُّ من ثمار التجربة الشعوريَّة الَّتي عاشها الكاتب من حيث إنَّها حديث عن الحريَّة الَّتي قيَّدها الوباء، ومن حيث إنَّ فيها حضورًا للنافذة الَّتي برزت في يوميَّات الكاتب وفي كتابات غيره، فالنافذة من الأمور التي استرعتْ انتباه بعض النقاد في الإقامة الجبريَّة الَّتي مرَّ الجميع بها، «فهي الكوَّة الَّتي من خلالها يطلُّ الإنسان علىٰ العالم الخارجيِّ، يكحل العين، ويستنشق الهواء، ويحنُّ إلىٰ انتهاء الحجر ليمشي في (الأرض مرحًا) بدون تقييد»[4]. ويُلمح من عبارته الموجزة تلك إلىٰ ما يشي بتطلَّع الكاتب للحريَّة

(١) محاضرات في تاريخ الفلسفة، هيغل، (٩٤).

(٢) قيس يمكن، (١٧).

(٣) المرجع السابق، (١٥٠).

(٤) كورونا والخطاب، (٩٤).

والاستعداد لها؛ فالحريَّة تبدأ - كما ذكر - بالنظر من خلال النافذة؛ وانطلاقًا من هذه الرؤية الفكريَّة عن الحريَّة ما فتئت عينه ترقب من النافذة شروق شمس الحريَّة، وميلاد عهد جديد للإنسانيَّة.

١.٢: الإنسان والإطراف الأدبي في زمن كورونا:

في الطُّرفة والتَّفكُّه أبعاد اجتماعيَّة لا يمكن تصوُّر وقوعها إلَّا بوجود متلقٍّ لها ومجتمع تُذاع فيه، وهي سمة اجتماعيَّة تميِّز المجتمعات عن بعضها، فقد «لاحظ بعض العلماء أنَّه لا يوجد إنسان ولا جماعة إنسانيَّة من دون حسٍّ خاصٍّ بالفكاهة مميِّز لها... فإنَّ الفكاهة يمكن النظر إليها على أنَّها تشبه بصمات الأصابع، لكنَّها هنا بصمات أصابع سيكولوجيَّة، وليست بصمات جسميَّة فسيولوجيَّة»[١]، وبهذا يظهر ارتباط الطُّرفة والفكاهة وما يترتَّب عليهما من ضحك بالجانب الاجتماعيِّ، فهي «رسالة اجتماعيَّة مقصود منها إنتاج الضحك»[٢]. وتكون الحاجة إلى الأدب الَّذي يعتمد الطُّرفة موضوعًا له ماسَّة عندما تتكالب على الإنسان والمجتمع المآسي، فعندما «تشتدُّ أوجاع الناس وتطحنهم الأزمات يهربون عادة إلى نسج النكات، وإنتاج القصص الطريفة الَّتي تضحكهم، وتخفِّفُ من معاناتهم، وتروِّح عنهم من قسوة وبطش الأزمات والمتاعب الَّتي يواجهونها»[٣]. وهذا السلوك يمكن تفسيره بالدور الَّذي يقوم به الأدب الساخر، فهو «يقوم بوظيفة تطهيريَّة حيث يزيل من النَّفس أدران الهمِّ والقلق والحقد والتشاؤم والإحباط»[٤]. وبما أنَّ الطُّرفة لها دور في التخفيف من قسوة الأزمات فقد لجأ إليها حسن النعمي

---

(١) الفكاهة والضحك: رؤية جديدة، شاكر عبد الحميد، (٢١٩).

(٢) المرجع السابق، (٧).

(٣) انظر: السخرية في الأزمات، (مقال) الحمزة، محمد، جريدة الرياض، الرياض: الخميس ٢٦ مارس ٢٠٢٠م، عبر الرابط الإلكتروني: https://www.alriyadh.com/1812461

(٤) الأدب الفكاهي، عبد العزيز شرف، (هـ).

في يوميَّاته زمن العزلة، ووظَّفها في إطار حواريٍّ موضوعة في سياق ساخر يغلب عليه بساطة التعبير، كما يظهر ذلك في يوميَّته السابعة عشرة، حيث جاء فيها:

«قال صديقي (قيس يمكن): إنَّه اعتاد من زوجته أن تنقل الأشياء بشكل دائم في البيت بحجَّة التجديد، اللَّوحاتُ وقطع الأثاث و...، إلَّا لوحة واحدةً بقيت معلَّقة في مكان منزوٍ لا يكاد يُرىٰ، ولـمَّا تَطاول الحجرُ المنزليُّ تجرأتُ وعلَّقتها في (الصالون)، الغريبُ أنَّها لم تحتج ولم تقل لا شأن لكَ بما في داخل البيت.

صديقي حسن، تُرىٰ لماذا لم تستنكر (المدام)؟

قلتُ له: ما اللَّوحةُ؟ قال: (الصبرُ مفتاحُ الفرجِ)»[1].

النصُّ يصوِّر طبيعة العلاقات الأسريَّة بما فيها من تجاذب وصراع علىٰ إدارة المنزل، وهو نصٌّ اقترب كثيرًا من نمط القصَّة القصيرة جدًّا؛ لما فيه من تكثيف ودراميَّة وحوار ومشاهد، وقد اعتراف الكاتب صراحة في مقدمة هذه اليوميَّات بأنَّ يوميَّاته تقترب كثيرًا من حدود القصة القصيرة جدًّا، قائلًا: إنَّ هذه اليوميَّات «اتَّخذت من السرد نمطًا لها، فاقتربت من القصة القصيرة جدًّا، لكنَّها حافظت علىٰ روح البساطة والفكاهة والمعنىٰ العميق في الوقت نفسه»[2].

والطُّرفة في النصِّ معتمدة علىٰ اقتباس حديث منسوب للرسول الكريم (الصبرُ مفتاحُ الفرجِ)، والاقتباس «يكون في الشِّعر كما يكون في النثر، ويجوز أنْ يحتفظ المقتبس بالنصِّ القرآنيِّ أو النبويِّ، أو أنْ ينقله إلىٰ معنًىٰ آخر»[3]، والكاتب - هنا - وظَّف الاقتباس في سياق ساخر، فاللَّوحة الَّتي غيَّر مكانها هي لوحة كانت في مكان منزوٍ في البيت لا يكاد يرىٰ، وهي

(١) قيس يمكن، (٤١).

(٢) المرجع السابق، (٦).

(٣) علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني فيود، (٢٢٥).

اللَّوحة الوحيدة الَّتي لم تنقلها زوجة (قيس يمكن) من مكانها إلىٰ مكان آخر، فكلُّ ما في البيت شمله التغيير، وهي بقيت كما هي عليه، ولـمَّا تطاولت أيَّام الحجر أراد الزوج مشاكسة زوجته، فلاحظ أنَّ هذه اللَّوحة لم يشملها التغيير، فوجد في نفسه جرأة ليس علىٰ نقلها فقط، بل وفي تعليقها في أهمِّ مكان في البيت، وهو (الصالون)، وكان يتوقَّع ردَّ فعل عنيف من الزوجة، إلَّا أنَّها لم تحتج، ولم تعلِّق علىٰ فعلته تلك، ما أصابه بالحيرة، وتساءل عن سكوتها الغامض. غير أنَّ هذه الغرابة تنجلي عندما نعرف مضمون تلك اللَّوحة، فهي تتضمَّن حديثًا منسوبًا إلىٰ الرسول ﷺ: (الصبر مفتاح الفرج)[1]. وهذا الحديث (ذكره الديلمي، بلا إسناد عن الحسن بن علي)[2]، والكاتب وظَّف هذا الحديث المنسوب إلىٰ الرسول ﷺ في نصِّه، فكأنَّ الزوجة لم تجد ما تجابه به زوجها الَّذي يشاكسها في شؤون اعتادت علىٰ أنَّه من اختصاصاتها سوىٰ هذا الحديث المنسوب إلىٰ الرسول الكريم.

فمن جهة وجدتْ فيه تعزية علىٰ تحمُّل تلك المشاكسات من زوجها، ومن جهة أخرىٰ وجدتْ فيه دعوة إلىٰ تحمُّل تبعات الحجر، فالصبر مفتاح الفرج، وهذا الفرج ينفتح علىٰ تأويلات مختلفة منها: تحمُّل مشاكسات الزوج، أو تحمُّل تطاول أيَّام الحجر المنزليِّ، أو تحمُّلهما معًا.

ويظهر أنَّ موضوع الطُّرفة في هذه اليوميَّات ارتبط بشخصيَّة (قيس يمكن)، وكذلك أخذتْ المشاكسات الزوجيَّة بينه وبين زوجته مساحة فيها، كما في اليوميَّة السابقة، وكما في هذه اليوميَّة الَّتي موضوعها – أيضًا – التجاذب بين (قيس يمكن) وزوجته، فيقول:

---

(١) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، حديث رقم (٦١٦، ٤١٨).

(٢) المرجع السابق، (٤١٨).

«حدَّثني صديقي (قيس يمكن) أنَّه قرَّر أن يصوِّر نفسهُ للذِّكرىٰ، فظهرت علىٰ الفورِ مشكلةٌ: هل يتصوَّر بملابسِ البيتِ، أم لا بدَّ أن يلبسَ الثَّوبَ والشماغَ والعقالَ؟ ولأنَّه اشتاقَ إلىٰ ملابسه الرسميةِ، ذهب إلىٰ الخزانةِ، وفتحها فلم يجد ثيابهُ، وعندما سأل عنها أخبرتهُ زوجتهُ أنَّها تخلَّصت منها خوفًا أنْ يكون بها أثر (كورونا)»[1].

يتحدَّث الكاتب عن حادثة وقعتْ مع صديقه (قيس يمكن)، وهي شخصيَّة سرديَّة «استمدَّتْ اسمها الأخير (يمكن) من الاحتماليَّة وعدم حسم الأمور، أو من تصوُّر مسبق للأشياء... حضرتْ هذه الشخصيَّة لتأسيس حواريَّة في سياق هذه اليوميَّات»[2]، أقول إنَّ الكاتب يتحدَّث عن حادثة طريفة وقع فيها (قيس يمكن)، فَقَدْ وَجَدَ في نفسه رغبة في تصوير نفسه صورًا تذكاريَّة، فاستجاب لهذه الرغبة، وفضَّل أنْ يصوِّر بالملابس الرسميَّة (الثوب والشماغ والعقال)؛ لأنَّه اشتاق لتلك الملابس الَّتي حَرَمَهُ الوباءُ لبسها؛ لطول ملازمته المنزل لدواعي الحجر المنزليِّ، فذهب إلىٰ خزانة الملابس فلم يجد ملابسه، فسأل زوجته عنها؛ فقالت: تخلَّصْتُ منها خوفًا مِنْ أَنْ يكون بها أثرُ (كورونا)!

ويمكن أن نلمح الطُّرفة في مستويينِ:

الأوَّل: سذاجة السلوك وبراءته: وقد تمثَّلت السذاجة في سلوك (قيس يمكن)، فقد صُوِّر في صورة تهكميَّة في موقفين: الأوَّل: عندما همَّ باتخاذ (قرار) تصوير نفسه للذكرىٰ، فليس في مضمون قراره شيءٌ مهمٌّ حتَّىٰ يصفه بالقرار. والثاني: وقوعه في مشكلة مفتعلة، لا تخلو من سخريَّة، تكمن في تعثُّره بأشياء لا يقف المرء عندها كثيرًا، كاللِّباس الَّذي سيرتديه أثناء أخذ الصور للذكرىٰ؛ فما هي الذكرىٰ؟ أليست هي لحظة ارتبطتْ بحادثة، أو مناسبة تستوجب علىٰ

(١) قيس يمكن، (٦٧).

(٢) المرجع السابق، (٦).

الإنسان أنْ يحتفظ بشيء يذكِّره بها، وإذا كان ذلك كذلك، فما هي الحادثة الَّتي استوجبت التصوير، واستدعت نوعًا خاصًا من الملابس؟ وهل الذكريات تستلزم ملابس خاصَّة؟

الثاني: فجائيَّة الموقف: والفجائيَّة وقعت في مشهدين: الأوَّل: عندما ذهب إلىٰ خزانته لاختيار الملابس، وصُدم بخلوِّ الخزانة من ملابسه. والثاني: عندما سأل زوجته عن تلك الملابس، فصُدم من أنَّ زوجته رمت ملابسه، وتخلَّصت منها خشية أنْ يكون فيها شيء من أثر (كورونا).

ونختم مطلب الطُّرفة بيوميَّة بطلها (قيس يمكن) أيضًا، غير أنَّ موضوعها خرج عن مشاكساته مع زوجته إلىٰ مشاكساته مع الكاتب نفسه، فيقول:

«تخلَّف صديقي (قيس يمكن) عن تواصله اليوميِّ، فاتَّصلتُ به أكثر من مرَّةٍ، لكن لا جواب، من بداية الأزمة تناقشنا في أمور كثيرة، حكىٰ عن ذكرياته كما لم يحكها من قبلُ، كان بيننا حكايةٌ مشتركةٌ استأذنتهُ أنْ أقصَّها.

فقال: اترك الأمرَ إلىٰ وقته. قلتُ: متىٰ وقته؟ قال: إذا انتهىٰ الحظرُ، فربَّما وقتها لن يعودَ هناك من يهتمُّ بهذه اليوميَّات، فالخروجُ من زمنِ (كورونا) سيكونُ بدايةَ حياةٍ مختلفةٍ لنا جميعًا!!»[1].

يتحدَّث الكاتب عن انقطاع صديقه (قيس يمكن) عن تواصله اليومي معه، فاتَّصل عليه مرَّات فلم يُجِبْ، ثمَّ انتقل إلىٰ الحديث عن نقاشاته السابقة معه، مستعيدًا حادثة مشتركة بينهما أراد الكاتب قصَّها، لكنَّه أجابه بأنْ يترك الأمر إلىٰ حينه، فسأل صديقه عن وقت هذا الحين، فرَّد عليه بأنَّه إذا انتهىٰ الحظر فربَّما لن يهتمَّ أحد بهذه اليوميَّات، فالخروج من زمن (كورونا) سيكون بداية حياة مختلفة للجميع.

(١) قيس يمكن، (١٢٥).

والطُّرفة تكمن في أسلوب الشرط (إذا انتهىٰ الحظرُ، فربَّما وقتها لن يعودَ هناك من يهتمُّ بهذه اليوميَّات)، ففعل الشرط فيه إيحاء بتحديد وقت السماح للكاتب في قصِّ الحادثة المشتركة بينهما؛ لأنَّ الكاتب يسأل عن موعد (الوقت) الذي سينشر فيه القصَّة المشتركة، فكان الكاتب يتطلَّع لتحديد الوقت، ولكنَّ جملة جواب الشرط جاءت بعكس ما كان يريد، وكسرت أفق توقِّعه وأحبطت تطلُّعاته وطموحاته الأدبيَّة؛ لأنَّ جملة جواب الشرط أشعرت بعبثيَّة ما يكتبه الكاتب، وأنَّه سيفقد قيمته؛ لأنَّه أدب أسير بلحظة زمنيَّة معيَّنة ارتبطت بظرف تاريخيٍّ معيَّن تمثَّل في (الحجر المنزليِّ)، فلو تغيَّرت اللَّحظة وزال الظرف (فربَّما) وقتها لن تجد هذه البضاعة مَن يهتمَّ بها.

١.٣: الإنسان والتباعد الاجتماعيِّ في زمن كورونا:

الإنسان كائن تواصليٌّ بطبعه، يتطلَّع إلىٰ التفاعل مع محيطه الاجتماعيِّ، فلا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة طبعيَّة من دون التواصل مع غيره، ومن هنا نفهم قسوة ما يسمَّىٰ (الحبس الانفرادي)، حيث يعزل الإنسان ويحجب عن التواصل مع غيره، فهي عقوبة لها تأثيرات نفسيَّة خطيرة علىٰ الإنسان. وقد أَلْقت أزمة وباء (كورونا) بظلالها علىٰ التواصل الاجتماعيِّ، فظهر مصطلح (التباعد الاجتماعي) الَّذي يدل علىٰ الحدِّ من تفاعل الأفراد واختلاطهم وتواصلهم المباشر؛ وذلك من أجل إيقاف انتشار وباء (كورونا) السريع بين أفراد المجتمع، وبناء علىٰ ذلك عُزل الإنسان عن محيطه، وشعر بالغربة والوحشة، فالشعور بالعزلة يجعل «كلَّ شيء آخر يبدو غريبًا معاديًا، وحينئذٍ يشعر الإنسان أنَّه غريب متوحِّد لا وطن روحيًّا له»[1].

وظهرت تجلِّيات (التباعد الاجتماعي)، في يوميَّات حسن النعمي، في صور مختلفة منها حديثه عن وحشة الكون زمن (التباعد الاجتماعي)، فيقول:

(١) العزلة والمجتمع، نيقولاي برديائف، (١١٥).

«اليومَ نظرتُ من نافذتي، رأيتُ أرضًا شاسعةً، وسماءً تحجُبها بعضُ الغيوم، وكلُّ الأصواتِ حضرت إلَّا صوت الإنسانِ، فأغلقتُ النافذةَ، وعدتُ أتصفحُ كتبي»[1].

اليوميَّة تروي جزءًا من يوم الكاتب، فقد نظر من النافذة، ورأىٰ الأرض رحبة واسعة، ورأىٰ سماء تلبِّدها بعض الغيوم، واستشعر حضور كلَّ شيء بين هذه الأرض وتلك السماء، غير أنَّ صوت الإنسان غائب عن هذا الحضور، فأغلق النافذة وعاد يتصفَّح كتبه.

والنصُّ يرتكز علىٰ ثنائيَّات متضادَّة بين حاضر وغائب، وبين النظر من النافذة وإغلاقها، وبين أرض وسماء. فالحاضر هو كلُّ ما له صوت يصيح ويهتف في هذا الكون الفسيح، والغائب هو صوت الإنسان. والنظر من النافذة لرؤية الحياة واستنشاق الهواء، وإغلاق النافذة للهرب من وحشة الكون الخالي من صوت الإنسان إلىٰ المكتبة حيث رحابة الكتب والاستئناس بها، فالعزلة «المطلقة مرادفة للجحيم وللعدم، ولا يمكن تصوُّرها إلَّا عن طريق السلب»[2]. والأرض مستقرُّ الإنسان ومستودعه والسماء حيث الدعاء والأمنيات. والَّذي يهمُّنا في هذا المقام التضادُّ بين حضور جميع الأصوات، وغياب صوت الإنسان، فالإنسان تواصليٌّ اجتماعيٌّ بطبعه، وتنبثق «أهميَّة التواصل من ارتباطه بالحاجات الإنسانيَّة، فالإنسان كائن يتحرَّك في الحياة مدفوعًا بحاجاته الفسيولوجيَّة مثل الطعام والشراب، وحاجاته النفسيَّة الاجتماعيَّة مثل الانتماء والمعرفة وتقدير الذات وتحقيقها... وغالبًا ما يكون التواصل مطيَّة لإشباع هذه الحاجات»[3].

فلو نظرنا إلىٰ (حضور جميع الأصوات إلَّا صوت الإنسان) من حيث الكم لرجحت علىٰ صوت الإنسان، ومع ذلك فهي لم ترجح؛ لأنَّ الصوت الإنسانيَّ الَّذي هو الأساس الَّذي يقوم

(١) قيس يمكن، (١٥).

(٢) العزلة والمجتمع، (١١٧).

(٣) أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني، محمد بلال الجيوسي، (١٠).

عليه التواصل الإنسانيِّ لا يعادله شيء، فهو من حيث القيمة ثقيل؛ ولثقل هذه القيمة رجح جانب القيمة (الكيف) علىٰ جانب العدد (الكم). وانظر إلىٰ الحاضر والغائب تجد (الصوت)، لا شيء آخر من لوازم الإنسان، فالتواصل الإنسانيُّ يتمُّ بعدَّة قنوات ووسائل، ولكنَّ أكثر هذه الوسائل فاعليَّة هي وسيلة الصوت، فلو انعدم الكون من صوت الإنسان لكان موحشًا؛ ولذلك كنَّىٰ الكاتب عن غياب التواصل الإنسانيِّ بالصوت الَّذي يعني غيابه الوحشة. فالتواصل الإنسانيُّ يتمُّ - كما تقدَّم - بوسائل عدَّة، ومن بين هذه الوسائل الصوت الَّذي يكتنز معاني الإنس والألفة، وهذه المعاني هي ما فَقَدَهُ الإنسان في عزلته زمن (كورونا). ثمَّ إنَّ هذا التركيب - لفظ (كل) الذي يفيد العموم، ولفظ (إلَّا) الَّتي تفيد الاستثناء - يتكرَّر في اليوميَّات، وهذا يشعر بأنَّ التركيب مَهْيَعٌ للكاتب في مواقف تتطلَّب عرض كفَّتي ميزان يرجح فيهما طرف علىٰ آخر، أو إبراز جانب علىٰ جانب آخر.

وإذا كان الكاتب في اليوميَّة السابقة تطرَّق إلىٰ غياب التواصل الإنسانيِّ الموحش فترة (الحجر المنزلي) فإنَّه في يوميَّة أخرىٰ تطرَّق إلىٰ انفراجة في هذه الأزمة، حيث وجد الإنسان منفذًا للتَّواصل، فيقول واصفًا ذلك:

«في طريقي إلىٰ المسجدِ بعد غيابٍ - بسبب الحظر المنزليِّ - لمحتُ صديقي (قيس يمكن) قادمًا من بعيدٍ، وكان يحملُ سجَّاداتٍ، ولمَّا اقتربَ بادرني بالسَّلام ونظر إليَّ، ومدَّ لي سجَّادةً، وانطلق بعدها يوزِّعها علىٰ المصلِّينَ، ويحاضرُ في ضرورة التَّقيُّدِ بالتعليمات للوقايةِ من (كورونا)»[1].

تسجِّلُ هذه اليوميَّة أوَّل انفراجة في زمن وباء (كورونا)، والخروج من (الحجر المنزلي)، فقد ذهب الكاتب إلىٰ المسجد بعد غياب طويل، ولمح صديقه (قيس يمكن) قادمًا من بعيد

(١) قيس يمكن، (١٢١).

يحمل معه سجَّادات الصلاة، فأعطىٰ الكاتب واحدة وراح يوزِّعها علىٰ باقي المصلِّين مصحوبة بنصائح تتعلَّق بالتعليمات الَّتي تسهم في الحدِّ من انتشار وباء (كورنا).

والنصُّ فيَّاض بالعواطف والمشاعر الَّتي لا يدركها إلَّا من عايش تلك الجائحة، وحضر الصلاة الأولىٰ في المسجد بعد انقطاع طويل لدواعي الحجر والإقامة المنزليَّة، حيث دموع المصلين وتكبيراتهم تغمر المكان بمشاعر وجدانيَّة وروحانيَّة. وقد احترس الكاتب بجملة اعتراضيَّة وهي قوله: (بسبب الحظر المنزليِّ)، والاعتراض «أنْ يُؤتىٰ في أثناء الكلام الواحد أو بين كلامين متَّصلين في المعنىٰ بأنْ يكون ثانيهما تأكيدًا لأوَّلهما، أو بيانًا له، أو بدلًا، أو معطوفًا بجملة أو أكثر لا محلَّ لها من الإعراب؛ لنكتة»[1] بلاغيَّة تكمن - هنا - في التَّنبيه علىٰ أسباب الغياب عن المسجد كل هذه المدَّة. فالكاتب اختار هذا الحادثة ليرويها؛ لما تحمله من قيمة وجدانيَّة ودينيَّة، ولما فيها من أهميَّة تكمن في أنَّ التواصل الأوَّل بعد تخفيف الإجراءات الاحترازيَّة كان في المسجد، وكأنَّ في ذلك إشارة إلىٰ حمد الله وشكره أنْ فرَّج الغمة عن الأمَّة. فأكثر ما كان يؤلم في تلك الإقامة المنزليَّة - لدواع صحيَّة - هو الانقطاع عن المسجد، وإقامة صلاة الجماعة فيه، وانقطاع التواصل بين جماعة المسجد؛ ولذا جاء (المسجد) مكانًا يداوي آلام العزلة ومبشِّرًا بعودة الحياة إلىٰ طبيعتها. والرمز الَّذي وضعه الكاتب للدلالة علىٰ مشاعر الفرح في هذه اليوميَّة (قيس يمكن)، فهو جاء إلىٰ المسجد عليه سيماء النشوة والسعادة، يحمل معه سجَّادات للصلاة، وهي نوع من الاحترازات الصحيَّة، فأعطىٰ صديقه سجَّادة، ثمَّ (انطلق) يوزِّعها علىٰ باقي المصلِّين، ويحاضر بضرورات الالتزام بالتعليمات الوقائيَّة من (كورونا)؛ لكي تستمرَّ الانفراجة ولا تنتكس مجريات الأمور، وترجع الأزمة إلىٰ حيث ما بدأتْ منه، ويعود الإنسان إلىٰ عزلته مرَّة أخرىٰ.

(١) علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني فيود، (٤٢٠).

وتأسيسًا علىٰ ما تقدَّم، تظهر قيمة اليوميَّات من الناحية الاجتماعيَّة، من حيث كونها نصوصًا «تمثِّل فترة محدَّدة هي فترة العزلة؛ لأنَّها ارتبطت بحدث معيَّن له سياق اجتماعيٌّ وتاريخيٌّ خاص»[1]، وأيضًا كشفت لنا تلك اليوميَّات كيف كان التواصل في زمن التباعد الاجتماعيِّ، وهذه ميزة يمتاز بها أدب اليوميَّات، وكذلك باقي الأشكال السرديَّة؛ لأنَّ الآداب «السرديَّة تبحث في سلوكيَّات الإنسان ومشاعره»[2].

* * *

المبحث الثَّاني
اليوميَّات ذات البُعد النفسيِّ في زمن كورونا

الإنسان في زمن الأوبئة الكبرىٰ تغزوه المخاوف ويساوره القلق وتداهمه الوساوس، وهذه المشاعر تضغط علىٰ نفسيَّته وتؤثِّر في أفكاره وتنعكس علىٰ سلوكه، وإذ ما نُظر إلىٰ الآثار النفسيَّة لوباء (كورونا) فسنجد أنَّنا إزاء مشكلة كبرىٰ؛ لأنَّ الحجر الصحيَّ والإقامة المنزليَّة والتباعد الاجتماعيَّ لها مضاعفات نفسيَّة لا يستهان بها، وهذه المضاعفات تتمثَّل من جهة في مشاعر القلق والخوف والتَّوتر والانفعال والتَّضجُّر، ومن جهة أخرىٰ تكون باعثة علىٰ التَّأمُّل ومثيرة للتساؤلات، فيصبح «للأشياء الصغيرة قيمتها»[3]، ومن ثَمَّ تغدو هذه المضاعفات علىٰ نفسيَّة الإنسان موضوعًا صالحًا للتَّناول الأدبيِّ، وبناءً عليه فإنَّ هذا المبحث يسعىٰ إلىٰ استجلاء تلك المضاعفات النفسيَّة في يوميَّات حسن النعمي.

---

(١) قيس يمكن، (١٥١).

(٢) المرجع السابق، (١٥١).

(٣) المرجع السابق، (٦).

٢.١: الإنسان ومشاعر القلق والضجر في زمن كورونا:

الإنسان في زمن وباء (كورونا) ساورته شكوك ووساوس، ليس أقلَّها الارتياب من طبيعة الوباء، ومصدر نشوئه، وفجائيَّة انتقاله السريع بين أقطار عدِّة، بل امتدَّ الارتياب في أمر اللقاحات المضادَّة لهذا الوباء، وكانت تلك الهواجس تغذِّيها الشائعات، فزمن «كورونا لم ينجُ من مدٍّ إشاعي، نشطت فيه الخطابات الخرافيَّة والسياسيَّة وتصفية الحسابات»[١]، فاجتمعت على الإنسان مصاعب نفسيَّة جمَّة، ما جعله كثير التَّطلُّع لانقضاء أيَّام العزلة؛ وذلك لما كان فيها من قلق وخوف، وقد صوَّرت إحدى يوميَّات حسن النعمي كيف انعكس القلق على سلوك الإنسان، فدفعه إلى فعل أشياء يظنُّ أنَّها يمكن أن تسهم في تعجيل انقضاء أيَّام العزلة، فيقول في يوميَّته الحادية عشرة مصوِّرًا ذلك:

«استلقيتُ لأقرأ، لكنَّ دوران مروحة السقف سرق منيِّ عيني، أربكني دورانها الرَّتيب البطيء فهممتُ أن أوقفه، لكنَّ شيئًا ما دفعني إلى فعل عكس ذلك، فبدلًا من إيقافها زدتُ سرعتها، وكأنَّني أستعجل انقضاء أيام عزلتنا»[٢].

تصف اليوميَّة أثر بعض الأشياء حولنا في تشتيت الانتباه، وتعكير صفو الفكر، وشحن المكان بطاقة سلبيَّة، ما يؤثِّر سلبًا على حالة الإنسان المزاجيَّة، فيهمُّ بفعل شيء ويفعل نقيضه مدفوعًا بدوافع سيكولوجيَّة يجهل الإنسان عينه مكامنها.

بدأ النصُّ بفعلين (استلقيتُ لأقرأ)، والاستلقاء وضعيَّة للاسترخاء وتكون «على القفا، وكلُّ شيء كان فيه كالانبطاح ففيه استلقاء»[٣]، وهذا الاستلقاء استعداد للقراءة، ولكنَّ دوران

(١) كورونا والخطاب، (٤٦).

(٢) قيس يمكن، (٢٩).

(٣) لسان العرب، (٥/ ٤٠٦٧)، مادة (لقا).

المروحة أقلق اطمئنان النفس وعكَّر صفو المزاج وأربك مشروع القراءة، فاضطربت الأفكار وتقطَّعت حبالها وانفرط خيطها. ولـمَّا بلغت أحاسيس القلق ذروتها (همَّ) بكل ما في هذا الفعل من معاني النِّيَّة المسبَّقة والعزم الصلب والإرادة القويَّة[1] ليوقف دوران المروحة، ولكنَّ المشاعر المتباينة، والأحاسيس المتناقضة، والأفكار المتضاربة جعلته يعدل عن إيقاف دوران المروحة إلىٰ زيادة سرعتها؛ استجابة لدافع نفسيٍّ وجد في تسريع دوران المروحة تسريعًا للزمن، والتعجيل في انقضاء أيَّام العزلة. ثمَّ إنَّ في جملة (سرق مني عيني) استعارة، حيث شبَّه دوران المروحة بإنسان، وحذف المشبه به، وأبقىٰ علىٰ شيء من لوازم الإنسان، وهو (سرق) علىٰ سبيل الاستعارة المكنيَّة، فصُوِّر لنا (دوران المروحة) بإنسان ذي سلوك غير سويٍّ، فأفاد التصوير المبالغة في أثر الدوران في الإرباك، وتعكير صفو المزاج، وتعطيل مشروع القراءة، وقد زاد المشهد مبالغة في أنَّ المسروق هو (عيني)، فكأنَّ دوران المروحة اقتلع العين من محاجرها اقتلاعًا وأخذها خلسة. وإذا اتَّضح ذلك ضع جملة (سير أيَّام العزلة الرتيبة البطيئة) مكان جملة (دوران المروحة الرتيب البطيء) تتَّضح الرؤية وتنكشف الحكاية.

وأيَّام العزلة الطويلة حيث تباطؤ الزمن ورتابته، وظروف (الحجر المنزلي) الكئيب حيث التباعد الاجتماعي وقسوته، أوصلت نفس الإنسان إلىٰ حدِّ الامتلاء والانفجار، وقد صوَّر الكاتب في أحد اليوميَّات ما يوحي بالتَّضجُّر من العزلة وآلامها، ناقلًا عن صديقه (قيس يمكن) ما يصوِّر ذلك الضجر؛ فيقول:

«قال صديقي (قيس يمكن) إنَّه بعد تفكيرٍ وجد أنَّ الالتزام بالحجر المنزليِّ والصبر علىٰ رتابة إيقاع الوقتِ أوصلَ التباعد الاجتماعيَّ عند بعضهم إلىٰ ضيقٍ نفسيٍّ، فقد عُرِفَ لأوَّل مرَّةٍ معنىٰ (نفسه في طرف خشمه)، فكما يقولُ: أغلبُ النَّاسِ فضَّلُوا التَّوغل في الحياة الافتراضيَّة حتَّىٰ

(١) جاء في لسان العرب: «هَمَّ بِالشَّيْءِ يَهِمُّ هَمًّا: نَوَاهُ وَأَرَادَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ». (٦/ ٤٩٣٣)، مادة (همم).

أصبحوا منفصلين عمَّا حولَهم!!»[1].

فالكاتب يروي عن صديقه (قيس يمكن) تحليلًا يبيِّن أثر الحجر المنزليَّ وما ترتَّب عليه ممَّا سُمِّيَ بـ(التباعد الاجتماعي) في نفس الإنسان، فهذه التعليمات الوقائيَّة للحدِّ من انتشار فيروس (كورونا) دليل علىٰ وعي عالٍ عند المجتمع السعوديِّ، ولكنْ مع تطاول الأيَّام وامتداد الأزمة فترة طويلة وجد الإنسان في نفسه ضيقًا كاد أنْ يفيض من أضيق المسارب.

والكاتب أكثر في النصِّ من المؤكِّدات، واعتمد علىٰ الجمل الاسميَّة الَّتي خبرها فعل، فبدأ النَّصَّ بالحرف الناسخ (إنَّه) الَّذي يفيد التَّوكيد وفصل بين اسم (إنَّ) وخبرها جملة (وجد) بفاصل (بعد تفكير)، وأشعر هذا الفاصل بأهميَّة الخبر، فهو ليس وليد لحظة انفعاليَّة بل هو وليد الرَّويَّة والأناة، ثمَّ إنَّ الخبر جملة (وجد) جاء مفعوله جملة اسميَّة (أنَّ الالتزام بالحجر المنزليِّ والصبر علىٰ رتابة إيقاع الوقتِ) مؤكَّدة بـ(أنَّ)؛ لأنَّه أراد تأكيد إسناد المسند إليه للمسند (أوصل)؛ ليؤكِّد بذلك أثر الحجر المنزليَّ والصبر علىٰ التباعد الاجتماعيِّ في نفس الإنسان الَّتي ضاقت حتَّىٰ كادت النفسُ أنْ تخرج من مسارب الهواء في الأنف، وفي كلِّ ما تقدَّم ما يشعر بضجر الإنسان بتلك القيود الَّتي قيَّدت حريَّته، وحدَّت من تواصله مع الآخرين.

ونختم هذا المطلب بنصٍّ صوَّر أكثر ما كان يقلق الإنسان ويرعبه في زمن (كورونا)، فيقول الكاتب واصفًا تجربة مرَّ بها صديقه (قيس يمكن):

«لأوَّل مرة أسمع صوت (قيس يمكن) متقطعًا وهو يحدِّثني، استوضحت منه بصعوبةٍ، قال: إنَّه شعرَ بحساسيَّة في صدرهِ فتوجَّه إلىٰ أقرب مستوصفٍ، وهناك استقبله أحدُ الممرِّضين، واشتبه في إصابته بكورونا.

فجأةً وجدَ قيسٌ نفسه في غرفةٍ باردة وباهتةٍ، وكان يرىٰ فضول النَّاسِ من الفتحةِ الزجاجيَّةِ

(١) قيس يمكن، (٦٣).

في الباب، وفيما هو في حالةٍ من القلق جاءهُ الممرِّضُ يخبرهُ أنَّه (طلع سلبي)، غاصت الكلمةُ في داخله؛ لأنَّه كان يناضلُ دائمًا أن يكون إيجابيًّا، لكنَّه فرحٌ اليوم لأنَّه (طلع سلبي[1])؟!»[2].

يروي الكاتب موقفًا مرَّ به صديقه (قيس يمكن)، فقد شعر بحساسيَّة في صدره، فذهب للمستوصف كي يطمئنَّ علىٰ سلامته؛ ولكنَّ الممرِّض الَّذي استقبله اشتبه في إصابة (قيس يمكن) بكورونا، وعلىٰ الفور أُودع قسم العزل ريثما تظهر نتيجة تحليله، وقد سيطرت عليه حالة من القلق والخوف وهو ينتظر نتيجة التحليل، فلمَّا جاءت النتيجة (سلبيَّة) فرح بذلك رغم أنَّه كان يناضل - دائمًا - ليكون إيجابيًّا.

والكاتب في هذا النصِّ وظَّف الأفعال في خلق نسق سرديٍّ يتَّسم بتسريع الأحداث الَّتي مرَّ بها صديقه (قيس يمكن)، وهذه السرعة في السرد تماثل سرعة الأحداث الَّتي تعاقبت متوالية ومتسارعة علىٰ (قيس يمكن). فبدأ بالفعل (شعر) وهو يمثِّل النقطة الَّتي بدأت منها أصل الحكاية، وبعد أنْ شعر بالألم (توجَّه) إلىٰ المستوصف كي يعرف سبب ما شعر به من آلام في صدره، فـ(استقبله) ممرِّض (اشتبه) في إصابة (قيس يمكن) بكورنا، عند ذلك دخلت القصة مُنحنىٰ التصعيد والإثارة فهذا الحدث هو المرتكز الَّذي قامت عليه، وهنا حدث انقطاع في السرد وانتقال في الخطاب من لسان (قيس) إلىٰ لسان الكاتب، فجاءت مفردة (فجأة) لتملأ الفراغ الزمنيَّ بين الاشتباه بقيس وبين دخوله غرفة العزل، وهذا الفراغ لا نعلم عنه شيئًا، وهذه خاصيَّة في السرد الَّذي يعتمد علىٰ تقنية تسريع الأحداث تتمثَّل في «الميل إلىٰ الإيجاز»[3]. وبعد أنْ وجد (قيس يمكن) نفسه في غرفة العزل انحنىٰ نسق الكلام، فتوقف لسان (قيس) عن الحديث،

(١) هكذا جاء في المدوَّنة، والصواب (سلبيًّا).

(٢) قيس يمكن، (٩٣).

(٣) القصة القصيرة جدًّا في ضوء لسانيات التركيب، جميل حمداوي، (١٢).

وانطلق لسان الكاتب إلىٰ الوصف، فوصف الغرفة الَّتي وُضِعَ فيها قيس، فهي باردة وباهتة، منعدمة من النوافذ غير (فتحة) زجاجيَّة كان يرىٰ منها فضول الناس، وبعد أنْ وصف الغرفة انتقل إلىٰ وصف حالة (قيس يمكن) النفسيَّة، فهو قَلِقٌ علىٰ نفسه تساوره الأوهام وتداهمه الوساوس، ثمَّ انفرجت الأزمة بمجيء الممرِّض مخبرًا أنَّه (طلع سلبي)، وهنا تباينت المشاعر عنده، أيفرح بهذه الكلمة ذات المدلول السلبيِّ؛ لأنَّ في مضمونها السلامة من فيروس (كورونا)، أو يحزن؛ لأنَّه طالما ناضل ليكون إيجابيًّا، هنا تضاربت مشاعره الداخليَّة فغاصت الكلمة في أعماقه نفسه.

٢.٢: الإنسان والتفكُّر والتأمُّل في زمن كورونا:

ذكر حسن النعمي في مقدمة يوميَّاته ما نصُّه: «ونقطة أخيرة حول مصادر هذه اليوميَّات، المصدر الأوَّل؛ تأمُّل ما حولي في نطاقي الضَّيق في الحجر المنزليِّ، والتعبير عنها، كتأمُّل السُّجَّادة، أو الثُّريَّا وتوظيفها في سياق يستدعي التَّفكير، فرغم البساطة إلَّا أنَّها محملَّةٌ بمعانٍ تلفت انتباه المتلقِّي»(١)، وهذا يعني أنَّ التَّأمُّل وتوظيفه في سياق يستدعي التَّفكير أدَّىٰ دورًا كبيرًا في يوميَّات النعميِّ، بل هو أوَّل مصادرها، وكان للوباء أثر في ذلك؛ فلولا العزلة وتبعاتها ما كان لهذا التأمُّل أنْ يحدث، بل ما كان لهذه اليوميَّات أنْ تُكتب. ومن اليوميَّات الَّتي نحت إلىٰ إثارة التساؤل، وأخذت طابعًا فلسفيًّا يدعو إلىٰ التَّأمُّل، يوميَّاته الخمسون، حيث جاء فيها:

«حدَّثني صديقي (قيس يمكن) عن رأيي في العدِّ التَّنازليِّ، استغربتُ سؤالهُ لكنِّي قلتُ لعلَّه الانطلاقُ من حال إلىٰ حالٍ، وأنَّ ما سيأتي بعد الانطلاقِ سيكونُ مختلفًا، فالعدُّ التنازليُّ من أجل الصُّعودِ إلىٰ القمر غيَّر علاقتنا بالقمر، فلم نعد نحفلُ بغزلِ الشُّعراء بعد أن عرفنا أنَّ القمر ترابٌ في ترابٍ.

لم يطمئنْ (قيسٌ) إلىٰ كلامي، وأخذ يتمتمُ بكلماتٍ غير مفهومةٍ، فقط تبيَّنتُ منها أنَّهُ

(١) قيس يمكن، (٧).

مستعدٌّ لتقبُّل أيِّ شيءٍ من أجلِ أن يودَّعَ الحجر المنزليَّ»[1].

الكاتب في هذا النَّصِّ يوظِّف التَّساؤل عن فكرة (العد التنازلي) في سياق فكريٍّ فلسفيٍّ يستدعي التَّفكُّر، ويلفت انتباه المتلقِّي إلىٰ معانٍ يصل إليها بعد أنْ يتأمَّل فيما فكَّر فيه.

ويتأسَّس النصُّ علىٰ الحواريَّة، مُوَظِّفًا في تجلية تصوُّر الكاتب عن العدِّ التنازليِّ، وقد استغلَّ الكاتب سؤال صديقه (قيس يمكن) عن (العد التنازلي) في استعراض قدراته التحليليَّة، كما ظهر في تفسير العدِّ التنازليِّ مِنْ أَنَّه الانتقال من حال إلىٰ حال، وكذلك توظيف مخزونه الثقافيِّ باستحضار مشهد (العد التنازلي) لانطلاق الصاروخ الَّذي نقل الإنسان إلىٰ سطح القمر لتعليل فكرة (الانتقال من حال إلىٰ حال)، فهذه الحادثة جعلتنا نعرف أنَّ القمر تراب في تراب فلم نعد نحفل بغزل الشعراء. وبعد أنْ استرسل الكاتب في تجلية تصوُّره عن فكرة (العد التنازلي)، شعر أنَّ صديقه (قيس يمكن) لم يطمئنْ إلىٰ تحليلاته وتفنيداته وتعليلاته؛ لأنَّه تمتم بكلمات لم يتبيَّن الكاتب منها سوىٰ أنَّ صديقه مستعدٌّ لتقبُّلِ أيِّ شيءٍ من أجل أنْ يودَّع الحجر المنزليِّ.

وإذا كان (قيس يمكن) هو الَّذي سأل الكاتب عن فكرة (العد التنازلي) في النصِّ السابق فإنَّ الكاتب سأل (قيس يمكن) في نصٍّ آخر عن فكرة تبدو قريبة من الفكرة السابقة، وهي فكرة (فكِّر في الصُّعود قبلَ النُّزول)، فيقول:

«فكرةٌ قديمةٌ تعرفونها (فكِّر في الصُّعود قبلَ النُّزول)، فالنُّزولُ إلىٰ البئرِ دونَ معرفةِ وسيلةِ الصُّعود غفلةٌ ما بعدها غفلةٌ، ذكرتُ ذلك لصديقي (قيس يمكن) فقال: هي نفسُها فكرةُ الخروج من البيتِ ومواجهةُ وباء (كورونا) بسلوكٍ مستهتر.

فقلتُ: الفرقُ معَ ذلكَ قائمٌ، فضررُ النُّزولِ إلىٰ البئرِ دونَ تأمينِ وسيلةِ الصُّعودِ مشكلةٌ

(١) قيس يمكن، (١٠٧).

فرديَّةٌ، بينما الخروجُ العشوائيُّ والاختلاطُ في زمنِ (كورونا) دمارٌ شاملٌ!!»[1].

يتحدَّث الكاتب في يوميَّته عن مسألة التفكُّر في العواقب، مُوظِّفًا فكرة (فكِّر في الصُّعود قبلَ النُّزول) في إطار سرديٍّ للتحذير من كسر بروتوكولات (الحجر المنزلي)، والخروج من البيت ومواجهة وباء (كورونا) بسلوك مستهتر، فالإنسان عليه أنْ يفكِّر في المخارج قبل الولوج في أمور يجهل مآلاتها، وألَّا تستهويه سهولة فعل الشيء قبل أنْ يفكِّر في عواقبه، وما يترتَّب عليه من تبعات؛ فالإنسان السوي يدرك أنَّ الدخول في أمر ربمَّا بدأ سهلًا له تبعات يجدر به أنْ يفكِّر بها، ويحتاط منها قبل أنْ يلج فيها.

والنَّصُّ يسعىٰ إلىٰ إثارة التفكُّر والتأمُّل بطرح تساؤل حول مسألة (فعل الأشياء دون التفكير في عواقبها)، وقد صيغت هذه المسألة في نسق سرديٍّ حواريٍّ يرتكز علىٰ آليَّة الموازنة والمقابلة بين صورتين، الأولىٰ: صورة النزول إلىٰ البئر دون تأمين وسيلة الصعود. والثانية: صورة المخاطرة بالنفس، والخروج من المنزل، والاختلاط العشوائيُّ بالناس زمن كورونا. والغرض الَّذي تسعىٰ له تلك الموازنة والمقابلة يتمثَّل في غرض إقناعيٍّ؛ لأنَّ من ينزل في عمق البئر ويستقرُّ في قعره لا يمكن أنْ يجد وسائل في ذلك القعر يمكنها أنْ تخرجه منها، وهذه حقيقة بيِّنة لا يمكن أنْ يجادل أحد في إنكارها، فهي مسلَّمة من البدهيَّات، فمن أراد النزول إلىٰ قعر البئر عليه أوَّلًا وقبل كلِّ شيء توفير وسائل الخروج الآمن منه، فوضع هذه الصورة بما تضمَّنته من حقيقة لا سبيل إلىٰ إنكارها إزاء صورة الخروج من المنزل، والاختلاط العشوائيِّ بالناس زمن وباء (كورونا)، فمن أراد السلامة من هذا الوباء عليه أوَّلًا ألَّا يخرج من المنزل إلَّا للضَّرورة القصوىٰ، وإذا خرج عليه الالتزام بالاحترازات الصحيَّة للوقاية من وباء (كورونا)، وتجنُّب السلوكيَّات المستهترة الَّتي قد تجني علىٰ الفرد والمجتمع عواقب يمكن تلافيها إنْ تفكَّرنا في

(١) قيس يمكن، (١٢٧).

عواقبها ومآلاتها. ومثل هذه الحوارات في النصِّين السابقين علىٰ بساطتها تكشف عن التباين بين الشخصيَّتين (الكاتب وصديقه)، وتوضِّح قدرة أحدهما علىٰ الإيضاح والاسترسال والتعليل والإقناع، ومثل هذه الحوارات في الأنساق السرديَّة هي ما تكشف عن تصوُّر الشخصيَّات لطبيعة الأشياء وعن رؤيتها للعالم.

ونختم هذا المبحث بيوميَّة استعرض فيها الكاتب مسألة فكريَّة تتعلَّق باستحضار الإنسان للتاريخ، واجدًا في هذه المسألة مساحة للتساؤل والتأمُّل والتفكُّر، فيقول:

«أخذتني عزلتي إلىٰ مشاهدة المسلسلات التَّاريخيَّة، فوجدتُ أنَّنا في حالة عجزٍ عن مواجهة واقعنا، نعودُ إلىٰ التَّاريخ مهما كان مزيَّفًا؛ من أجلِ أن نداويَ بعضَ آلامنا، لكنَّ التَّاريخ الَّذي نرىٰ ليس سعيدًا دائمًا، ففيه من البؤس مثل ما نراهُ في واقعنا؛ لذا لا يجبُ أن نستغرقَ في التَّاريخ أكثرَ من اللَّازم!!»[1].

يروي الكاتب أنَّ عزلته زمن (كورونا) أخذته إلىٰ مشاهدة المسلسلات التاريخيَّة، فوجد في مشاهدة تلك المسلسلات ذات الطابع التاريخيِّ مدخلًا إلىٰ الحديث عن الدافع الذي يدفع الإنسان للعودة إلىٰ تاريخ انقضت أيَّامه ومضىٰ أهله، فراح يعلِّل أسباب العودة لذلك الماضي.

فالنصُّ يتكلَّم عن إشكال يشغل كثيرًا من المثقفين العرب، وهذا الإشكال يتمثَّل في حنين العربيِّ إلىٰ ماضيه والرغبة في استحضاره في قوالب مختلفة، وقد وجد سبب الاستغراق في التاريخ يكمن في العجز عن مواجهة الواقع المؤلم، فيدفعنا ذلك العجز عن مواجهة ألمنا وبؤسنا إلىٰ العودة له حتَّىٰ لو كان مزيَّفًا. فهذا التَّاريخ الَّذي يُهرب إليه ليس صفحة ناصعة لا تعكير فيها، وليس سعيدًا في كلِّ أحواله، وليس هو صورة مثاليَّة، ففي ذلك التاريخ ما في واقعنا من بؤس

(١) قيس يمكن، (٦١).

وألم، وإذا كان ذلك كذلك فإنَّه يجب ألَّا نستغرق فيه أكثر من اللازم.

وكلُّ ما تقدَّم من تحليلاتٍ ورؤًى وموازناتٍ اتَّخذتْ من العُزلةِ زمن (كورونا) منطلقًا لها، ومن ثمَّ غاصت في مناقشة مسائل نفسيَّة وتساؤلات فكريَّة، واستنادًا على هذا فإنَّ ما ذكر إنَّما هو من نتاج زمن العزلة ومنسوب له.

***

المبحث الثَّالث

اليوميَّات ذات البُعد الأخلاقيِّ في زمن كورونا

علاقة الإنسان مع غيره من المخلوقات علاقة غالبًا ما تكون متوتِّرة، فكثير ما يُنسب للإنسان تعكير صفو حياة تلك المخلوقات، وذلك بتدمير جغرافيَّتها الطبيعيَّة؛ كالآثار المترتِّبة على إتلاف الغابات، وإفساد مياه الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات، وكذلك الاعتداء الجائر على بعض أجناسها ما تسبَّب في انقراض كثير من فصائلها. وهذه الصُّورة السَّلبية تخدش الجانب الأخلاقيِّ للإنسان، غير أنَّ جائحة وباء كورونا دحضت المقولات الَّتي ترى «أنَّ وجود الإنسان طليقًا خطرٌ على الكائنات»[1]، فقد كشفت جائحة كورونا «أنَّنا بحاجةٍ إلى مراجعة مثل هذه الأقوال الفضفاضة، فالإنسان هو المكلَّف بعمارة الأرض حتَّى لو انحرف قليلًا عن مقاصدها»[2]. وبالنظر في نصوص مدوَّنة البحث، ظهرتْ للباحثِ صورٌ أبانتْ عن أهميَّة وجود الإنسان في عمارة الأرض، وعن دور قيمه الأخلاقيَّة في تهذيب علاقته مع الكائنات، وتأسيسًا على ذلك، جاء هذا المبحث ليسلِّط الضَّوء على هذين الجانبين.

---

(١) قيس يمكن، (٦).

(٢) المرجع السابق، (٦).

٣.١: الإنسان وعمارة الأرض في زمن كورونا:

تسبَّب وباء كورونا في تعطيل شتَّىٰ مناحي الحياة، فلأوَّل مرَّة في تاريخنا المعاصر يلزم الإنسان منزله لدواعٍ صحيَّة، ولا يخرج منه إلَّا للضرورة القصوىٰ مُحدَّدًا له وقت معلوم لا يزيد عليه، ولعلَّ هذا التعطيل من أبرز مظاهر الجائحة التي أثَّرت في الإنسان؛ ولأنَّها كذلك ظهرت في أوَّل يوميَّة كتبها النعمي فقال فيها:

«اليَومَ هاتفتُ أبي، وذكر أنَّه صار بعيدًا عن مزرعته عصرًا بسبب الحجر المنزليِّ، لكنَّه قال إنَّ ما يؤلمه أكثر أنَّه لم يعد باستطاعته أنْ يضع ماءً باردًا للطُّيور عند رواحها وقتَ العصاري»(١).

أبرزتْ اليوميَّة دور الإنسان في نماء وعمارة الأرض، من زراعة لها وتوفير سُبل الحياة لبعض مخلوقاتها، غير أنَّ هذا الدَّور ما كان له البروز لولا عامل (الحجر المنزليِّ) الَّذي هو من تداعيات وباء كورونا، فقد تسبَّب في تعطيل دور الإنسان في إنماء وعمارة الأرض، ومن هذا التَّعطيل ظهرت قيمة الأعمال الَّتي يقوم بها الإنسان في عمارة الأرض.

واتَّكأ النَّصُّ في إبراز ذلك الدَّور علىٰ الأسلوب الخبريِّ، الَّذي يتَّخذ من الجمل الفعليَّة وظروف الزَّمان وسائل تعبيريَّة أضفت علىٰ المشهد أبعادًا زمنيَّة وحركيَّة، فبدأ النَّصُّ بتقديم ظرف الزَّمان (اليَومَ) علىٰ فعله (هاتفتُ أبي)، ففي ظرف الزَّمان إشارة إلىٰ تحديد وقت الفعل، ولعلَّ الاتِّصال حدث بعد إعلان الحجر المنزلي، وهذا ما دفع الابن إلىٰ أنْ يهرع لـ(هتاف) أبيه. فبادر الأبُ ابنَهُ بجملتين خبريَّتين: الأولىٰ جملة اسميَّة خبرها جملة فعليَّة أخبرت عن حال تحوِّل المسافات – بسبب تداعيات الوباء – بينه وبين مزرعته من قرب إلىٰ بُعد، والثَّانية جملة فعليَّة أخبرت عن حيلولة الوباء بينه وبين وضع الماء البارد للطُّيور وقت (العصاري). والخبران خرجا إلىٰ معانٍ تشي بالحسرة والألم، تمثَّلت في حسرة الإنسان من تَبِعَات الوباء كالحجر

(١) قيس يمكن، (٩).

المنزليِّ الَّذي وقف حائلًا بين الإنسان وبين دوره في إنماء وعمارة الأرض، «فالانزياح اللُّغوي عن التَّعبير المباشر في الجملة الخبريَّة إلىٰ أنساق جماليَّة مثيرة يُبرز قيمة التَّحول السِّياقي»[1] من خبر لا يحمل سوىٰ مجرَّد الإخبار إلىٰ خبر يحمل إلىٰ جانب الإخبار إيحاء بمعانٍ أخرىٰ تُستشفُّ من سياق النَّصِّ. وكثَّف الكاتب الأفعال الماضية والمضارعة، ويُلحظ أنَّ استخدام الأفعال الماضية (هاتفت، ذكر، صار) جاء في سياق يخلو من الدراميَّة، فليس فيها سِوىٰ الإخبار المحض، وأمَّا الأفعال المضارعة (يؤلمه، يعد، يضع) فإنَّها جاءت في سياق دراميٍّ تصويريٍّ، وهذا عائد إلىٰ دلالة الصِّيغتين، فالمضارع يظهر «في التَّراكيب الفعليَّة أكثر حركة من الماضي؛ لكونه يرتبط بالأحداث تصويرًا»[2]. وارتبط تكثيف الأفعال بتكثيف ظروف الزَّمان، وظروف الزَّمان من القيود الَّتي تقيِّد زمن الفعل، وتحدِّد زمانه تحديدًا دقيقًا، وعناية المبدع بالظروف مظهر من مظاهر تجلية المعاني وتحريرها؛ لما فيها من تحديد وتدقيق.

وتضمَّنت اليوميَّة مفارقة ما بين حال الإنسان الَّذي سلب الوباء حريَّته، وحال الطُّيور الَّتي تنعم بالحريَّة، فقد أبرزت المفارقة أنَّ مَن هو حُرٌّ يحتاج إلىٰ مَن هو مسلوب الحريَّة، وفي ذلك كلِّه إبراز لدور الإنسان في إنماء وعمارة الأرض، ذلك الدور الَّذي ما كان له البروز لولا تسبُّب وباء كورونا في حجبه، ومن ثَمَّ ظهرت الحاجة للإنسان في إنماء وعمارة الأرض.

٣.٢: الإنسان وعلاقته بالكائنات في زمن كورونا:

أشار النعميُّ في يوميَّاته إلىٰ لمحات يُستشفُّ منها عطف الإنسان علىٰ بعض الكائنات والإحسان إليها، وهو عطف يأخذ صورًا متنوِّعة منها: ما ذكره في يوميَّته رقم (١٠)[3] من أنَّه

(١) جمالية الخبر والإنشاء: دراسة بلاغيَّة جماليَّة نقديَّة، حسين جمعة، (٩٥).

(٢) البنية التَّركيبيَّة للقصيدة الحديثة، رابح بن خوية، (١٠٣).

(٣) قيس يمكن، (٢٧).

أضمر في نفسه تشذيب شجرة الحنَّاء في فناء منزله، ولكنَّه لم يفعل؛ لأنَّ طائرًا يقف على أحد أغصانها، فلم يرد إزعاجه، فبقي لفترة ينتظر رحيله. ومنها - أيضًا - ما ذكره في اليوميَّة رقم (١٢)[١] من أنَّه تذاكر مع أبيه قصَّة طائر بنى عشَّهُ على رأس أعواد الذرة، فلمَّا حان وقت الحصاد ظلَّ الأبُ يؤجِّل الحصاد يومًا إثر يوم؛ لعلَّ الطائر يرحل من تلقاء نفسه، وعندما طال مُكوث الطائر حصد الأبُ زرعه، تاركًا الزرع الَّذي عليه عشُّ الطائر. وسنتناول في هذا المطلب تحليل إحدى اللمحات التي يظهر فيها جانب الإحسان والعطف على (قطِّ) الجيران، كما أسماه النعمي، فيقول في اليوميَّة رقم (٨):

«اليوم، كلُّ شيء في فناء المنزل يسوده الهدوءُ، إلَّا من صوت قطرات الماء تتهادى بإيقاعها الرتيب، ومن بعيدٍ كان قطُّ الجيران ينظر إليَّ مشفقًا، تنحيتُ جانبًا فهبط إلى حوض الماء يشربُ دون خوفٍ كالعادة، حينها أغلقتُ البابَ، وعُدتُ أجلسُ عند حافة النَّافذة أراقب الحياة الفاترة!»[٢].

كشفتْ هذه اليوميَّة عن مراعاة الإنسان لمشاعر الخوف في سلوك الحيوان، فالقطُّ لم يقترب من حوض الماء ليشرب إلَّا بعد أن تنحَّي الكاتب عن المكان، عند ذلك أحسَّ القطُّ بالأمن، فهبط، وشرب من الماء دون خوف، ولـمَّا رأى الكاتب ذلك أغلق باب الفناء، وجلس عند حافة النافذة يراقب حياة جعلها وباء كورونا فاترة رتيبة كئيبة.

وعمد الكاتب إلى توصيف المكان في أوَّل اليوميَّة وفي آخرها، مضفيًا على المكان سمات الكآبة والفتور، فاستعمل (كلّ) - الَّتي تجمع الأجزاء وتفيد العموم - في وصف مشهد الهدوء في فناء المنزل، لكنَّه استثنى (صوت قطرات الماء تتهادى بإيقاعها الرَّتيب)، ما أشار إلى أنَّه هدوء

(١) قيس يمكن، (٣١).

(٢) المرجع السابق، (٢٣).

يثير الأعصاب، فصوت قطرات الماء يتولَّد عنه ضغط علىٰ النفس وتوتُّر في الأعصاب، وهو في هذا الموقف رأىٰ من بعيد (قطَّ الجيران) ينظر بإشفاق؛ لما في المشهد من كآبة ووحشة، وبعد أن ترك الكاتب مكانه هبط القطُّ ليشرب من حوض الماء، وعمد الكاتب إلىٰ وصف الحالة النفسيَّة للقطِّ عندما شرب من (دون خوف كالعادة) وكأنَّه يرمز بذلك إلىٰ حالة السَّلام الَّتي شعر بها. بعدها ترك الكاتب الفناء كلَّه للقطِّ، فأغلق الباب، وعاد يجلس عند حافة النافذة يراقب الحياة التي جعلها وباء (كورونا) فاترة مملَّة. ولا يخلو المشهد من عنصر المفارقة، فالإنسان مقيَّدة حريَّته فلا يتجاوز فناء منزله، والقطُّ طليق حرٌّ يتنقَّل ما بين أبنية الجيران، وعاطفة الإشفاق جاءت ممَّن كان يُشفق عليه، وذلك كلُّه منبثق من (الحجر المنزلي) الَّذي هو من تداعيات وباء (كورونا).

***

الخَاتِمَةُ

*** أَهَمُّ النَّتَائِجِ:**

١- يتناص موضوع يوميَّات (قيس يمكن) مع سرديَّات الأوبئة الَّتي ظهرت في فترات تاريخيَّة ماضية، كما في رواية (ديكاميرون) لـ(جيوفاني بوكاشيو)، و(الطاعون) لـ(ألبير كامو)، و(العمىٰ) لـ(ساراماغو)، وغيرها.

٢- أثَّر وباء (كورونا)، وما تبعه من عزلة، في شخصيَّة الكاتب، فقد جعلته يلتفت إلىٰ أشياء وتفاصيل كانت غائبة عنه، علىٰ أصعدة عدَّة، منها أنَّ فترة العزلة أسهمت في إعادة رصيد الذكريات الَّتي غَفَلَ عنها، فأعاده ذلك إلىٰ سجلِّ الماضي يفتِّشُ فيه، فنشطت الذاكرة وتجدَّد العهد بها.

٣- كشفت اليوميَّات، من خلال وصف الواقع المعيش، عن أثر وباء (كورونا) في الأبعاد الاجتماعيَّة؛ بدءًا بالتطلُّعات إلىٰ الحريَّة، ومرورًا بحضور الطُّرفة، وانتهاء بالحديث عن أثر

التباعد علىٰ التواصل الاجتماعيِّ.

٤- أبانت اليوميَّات، في أعطاف تفاصيلها، عن أثر العزلة الاجتماعيَّة وامتداد فترة الوباء في الجانب النفسيِّ للإنسان.

٥- أوضحت اليوميَّات أنَّ حضور الإنسان مهمٌّ في عمارة الأرض، واستنادًا علىٰ هذه الأهمَّية يجدر مراجعة بعض الأقوال الَّتي ترىٰ أنَّ وجود الإنسان خطر علىٰ الكائنات.

٦- حرص الكاتب علىٰ بساطة عرض يوميَّاته، عامدًا إلىٰ الألفاظ الواضحة والقريبة، فاقتربت يوميَّاته من طبيعة الأحاديث اليوميَّة بما فيها من عفويَّة وتلقائيَّة.

٧- تلتبس يوميَّات (قيس يمكن) بأجناس أدبيَّة أخرىٰ، لاسيَّما جنس القصة القصيرة، وربَّما كان لقدوم الكاتب من ميدان القصة القصيرة دور في هذا التداخل الأجناسي.

٨- تعدَّدت مصادر يوميَّات (قيس يمكن) ما بين تأمُّل ما في المنزل ومحيطه، إلىٰ استحضار سجلِّ الذكريات الماضية، وأخيرًا إلىٰ ما يستشفَّه من حوارات مع أصدقائه.

٩- أظهرتْ اليوميَّات أنَّها جنس أدبيٌّ جدير بالدراسة، لاسيَّما إذا ارتبطت بمنعطفات تاريخيَّة مهمَّة، فيصبح لها قيمة مضافة علىٰ صعيد الأبعاد الاجتماعيَّة والتاريخيَّة.

*** تَوْصَيَاتُ البَحْثِ:**

١- تحتاج يوميَّات (قيس يمكن) إلىٰ دراسات أخرىٰ وفقًا للمناهج النقدية الحديثة، فهي مدوَّنة جديدة صدرت في سنة (٢٠٢٠م)، وتضمَّنت موضوعًا مهمًّا يتعلَّق بحال الأديب، ووضع الكتابة في زمن الأوبئة الكبرىٰ.

٢- تَسِمُ أدب اليوميَّات إجمالًا ندرة الدراسات فيه؛ ولذا فهو يحتاج إلىٰ دراسات تسهم في كشف قوانينه الَّتي تسهم في تحديد معاييره الأجناسيَّة، وتبيِّن خصائصه الإنشائية.

***

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- **أدب السيرة الذاتية.** شرف، عبد العزيز. د. ط، مصر: دار نوبار للطباعة، ١٩٩٢م.
- **الأدب الفكاهي.** شرف، عبد العزيز. ط١، مصر: الشركة المصرية للنشر، ١٩٩٢م.
- **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني.** الجيوسي، محمد بلال. ط٢، الرياض: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ١٤٣٥هـ.
- **البنية التَّركيبيَّة للقصيدة الحديثة.** ابن خوية، رابح. ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٣م.
- **جمالية الخبر والإنشاء: دراسة بلاغيَّة جماليَّة نقديَّة.** جمعة، حسين. د.ط، دمشق: دار مؤسَّسة رسلان، ٢٠١٣م.
- **دلائل الإعجاز.** الجرجاني، عبد القاهر. تحقيق: محمود محمد شاكر. ط٥، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٤هـ.
- **سِحْر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر.** الحمداني، حميد، ط٢، فاس: مطبعة آنفو، ٢٠١٤م.
- **علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع.** فيود، بسيوني عبد الفتاح. ط٢، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ.
- **علم اللُّغة: مقدمة للقارئ العربي.** السعران، محمود. د.ط، بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.
- **علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني.** فيود، بسيوني عبد الفتاح. ط٣، القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٥هـ.
- **العزلة والمجتمع.** برديائف، نيقولاي. ترجمة: فؤاد كامل وعلي أدهم. د.ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠م.
- **الفكاهة والضحك: رؤية جديدة.** عبد الحميد، شاكر. د.ط، الكويت: عالم المعرفة، ١٤٢٣هـ.

- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.** السخاوي، محمد بن عبدالرحمن. تحقيق: محمد عثمان. ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.
- **القيمة الفنيَّة للفظ المفرد وأثرها في الصورة البيانيَّة.** الظهار، نجاح بنت أحمد. ط١، الرِّياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ.
- **القصة القصيرة جدًّا في ضوء لسانيات التركيب.** حمداوي، جميل. ط١، الناظور/ تطوان: دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، ٢٠١٧م.
- **قيس يمكن: سرديات العزلة.** النعمي. حسن. د.ط، جدّة: دار سطور، ١٤٤٢هـ.
- **قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية.** إعداد: دارة الملك عبد العزيز، د.ط، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٣٥هـ.
- **كورونا والخطاب: مقدمات ويوميات.** شراك، أحمد. ط١، المغرب: مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية وإستراتيجيات التواصل والنشر، ٢٠٢٠م.
- **لسان العرب.** ابن منظور، محمَّد بن مكرم. تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون. د.ط، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- **مفهوم الحريَّة في الإسلام وفي الفكر الغربي: رؤية بانوراميَّة.** العرباوي، عزيز. د.ط، الرباط: مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٦م.
- **معجم السرديات.** القاضي، محمد وآخرون. ط ١، تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م.
- **محاضرات في تاريخ الفلسفة.** هيغل. ترجمة: خليل أحمد خليل. ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.ت.
- **معجم المصطلحات الأدبية.** فتحي، إبراهيم. د.ط، صفاقس: التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ١٩٨٨م.
- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها.** مطلوب، أحمد. د.ط، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ.
- **معجم المصطلحات العربية في اللُّغة والأدب.** وهبة، مجدي والمهندس، كامل. ط٢، لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

- **المعجم المفصل في الأدب.** التونجي، محمد. ط٢، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٩م.
- **معجم مصطلحات نقد الرواية.** زيتوني، لطفي. ط١، لبنان: مكتبة لبنان، ٢٠٠٢م.
- **نهاية الإيجاز في درر الإعجاز.** الرازي، فخر الدين. ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م.
- **يوميَّات نائب في الأرياف.** الحكيم، توفيق. د.ط، قطر: وزارة الثقافة والفنون، د.ت.

ثانياً: المقالات:

- **السخرية في الأزمات.** (مقال) الحمزة، محمد. جريدة الرياض، الرياض، الخميس ٢٦/ ٣/ ٢٠٢٠م، عبر الرابط: https://www.alriyadh.com/1812461
- **اليوميَّات في الأدب العربي القديم: روزنامجة ابن عبَّاد نموذجًا مقاربة إنشائية.** (بحث علمي)، البكر، فهد بن إبراهيم. مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ملحق العدد (١٨٣)، الجزء الثاني عشر، ٥١٦-٥١٦.

* * *

Bibliography

First: the books:

- Adab Assira Azzatia (Biographical literature). Sharaf, Abdulaziz. Dr.. I, Egypt: Nubar Printing House, 1992 AD.
- Aladab Alfukahi (Humorous literature). Sharaf, Abdulaziz. I 1, Egypt: The Egyptian Publishing Company, 1992 AD.
- Anta wa Anna (You and Me): An Introduction to Human Communication Skills. Al-Jayousi, Muhammad Bilal. i 2, Riyadh: Arab Gulf Education Library, 1435 AH.
- Albinia Attrkibia Lilqassida Alhaditha (The structural structure of the modern poem). Benkhweya, winner. I 1, Irbid: The Modern World of Books, 2013 AD.
- Jamaliat Alkhabar wa Alinsha (The aesthetics of the news and Composition): a rhetorical and critical study. Gomaa, Hussein. Dr.. I, Damascus: Raslan Foundation House, 2013 AH.
- Dalail Ali?jaz (Evidence of miracle). Al-Jurjani, Abdel-Qaher. Investigation: Mahmoud Mohamed Shaker. 5th floor, Cairo: Al-Khanji Library, 1424 AH.
- Sihr Almawdou? (The magic of the subject): about Criticism in novels and poetry. Hamdani, Hamid. 2nd edition, Fez: Info Press, 2014 AD.
- ?ilm Albadei? (Badi science): a historical and technical study of the origins of rhetoric and Budaiya issues. Feoud, Bassiouni Abdel-Fattah. 2nd floor, Cairo: Al-Mukhtar Foundation for Publishing and Distribution, 1425 AH.
- ?ilm Allugha (Linguistics): An Introduction to the Arabic Reader. Al-Saran, Mahmoud. Dr.. I, Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabiya, d. T.
- ?ilm Alma?ani (Semantics): a rhetorical and critical study of semantic issues. Feoud, Bassiouni Abdel-Fattah. 3rd floor, Cairo: Al-Mukhtar Foundation, 1425 AH.
- Al?ozla wa Almujtama? (Isolation and community). Bardiav, Nikolai. Translation: Fouad Kamel and Ali Adham. Dr.. I, Cairo: The Egyptian Renaissance Library, 1960 AD.
- Alfukaha wa Addhahik (Humor and laughter): a new vision. Abdel Hamid, Shaker. Dr.. I, Kuwait: The World of Knowledge, 1423 AH.
- Almaqasid Alhasna fi Baian Kathir min Alahadith Almushtahira ?ala Alasna (The good intentions in explaining many of the hadiths that are well-known on the tongues). Al-Sakhawi, Muhammad bin Abdul Rahman. Investigation: Muhammad Othman. I 1, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1405 AH.
- Aalqima Alfania Llilafz Almufrad wa Athraha fi Assora Albaiania (The technical value of the singular term and its impact on the graphic image). Al-Zahhar, Najah Bint Ahmed. I 1, Riyadh: Al-Rushd Library, 1426 AH.
- Alqissa Alqassira Jidan fi Dhaw Lisaniat Attarkib (The short story in the light of the linguistics of the structure). Hamdaoui, beautiful. I 1, Al-Natour / Tetouan: Dar Al-Reef for electronic printing and publishing, 2017.
- Qais Yamkin: (Narratives of Solitude). Al Nuaimi. Hassan. Dr. T, Jeddah: Dar Sutoor, 1442 AH.

- Qamous Aladab wa Aludabaa fi Almamlaka (Dictionary of literature and writers in the Kingdom of Saudi Arabia). Prepared by King Abdul Aziz House, d. I, Riyadh: King Abdul Aziz House, 1435.
- Korona wa ALkhitab (Corona and Discourse: Introductions and Diaries). Sharak, Ahmed. I 1, Morocco: Approaches Foundation for Cultural Industries and Communication Strategies, 2020 AD.
- Lisan Alarab (Arabs Tongue). Ibn Manzoor, Muhammad Ibn Makram. Investigation: Abdullah Ali Al-Kabeer, and others. Dr. T, Cairo: Dar Al Maaref, D. T.
- Mafhoom Alhorria fi Alislam wa Alfikr Algharbi (The concept of freedom in Islam and Western thought: a panoramic view). Arbawi, Aziz. Dr.. Rabat, Rabat: Believers Without Borders, 2016.
- Mu?jam Assardiat (Narrative Dictionary). Al-Qadi, Muhammad et al. I 1, Tunisia: Dar Muhammad Ali Publishing, 2010 AD.
- Muhadharat fi Tarikh Alphalsapha (Lectures on the history of philosophy). Hegel. Translation: Khalil Ahmed Khalil. 1st floor, Beirut: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
- Mu?jam Almustalahat Aladbia (A dictionary of literary terms). Fathy, Ibrahim. Dr.. I, Sfax: Workers' Cooperative for Printing and Publishing, 1988 AD.
- Mu?jam Almustalahat Albalaghia wa Tataoraha (A dictionary of rhetorical terms and their development). Wanted, Ahmed. Dr.. I, Baghdad: The Iraqi Scientific Council Press, 1406 AH.
- Mu?jam Almustalahat Alarabia fi Allugha wa Aladab (A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature). Wahba, Magdy and Al Mohandes, Kamel. 2nd floor, Lebanon: Library of Lebanon, 1984 AD.
- Almu?jam almufassal fi Aladab (Detailed lexicon in literature). Tonji, Mohamed. I 2, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1999 AD.
- Mu?jam Mustalahat Naqd Arriwaya (A dictionary of terms criticizing the novel). Olive, Lotfi. I 1, Lebanon: Library of Lebanon, 2002 AD.
- Nihayat Alijaz fi Durrar Ali?jaz (The end of the brief in the pearls of miracles). Al-Razi, Fakhruddin. I 1, Beirut: House of Science for Millions, 1985 AD.
- Yawmiat Na'ib fi Alaryaf (Diary of a deputy in the countryside). Hakim, Tawfiq. Dr.. i, Qatar: Ministry of Culture and Arts, d. T.

Second: Articles:

- Irony in crises. (Article) Al-Hamza, Muhammad. Al-Riyadh newspaper, Riyadh, Thursday 3/26/2020 AD, via the link: https://www.alriyadh.com/1812461
- The Diaries in Ancient Arabic Literature: Ibn Abbad's Rozanajha as a Model for a Structural Approach. (Scientific research), Al-Bakr, Fahd bin Ibrahim. The Journal of the Islamic University, Al-Madinah Al-Munawwarah, The Islamic University, Issue Two (183), Part Twelve, 516-516.

❊ ❊ ❊